فتوح فلسطين

فتوح فلسطين

تحقيقات تاريخية تكشف تفاصيل فتوح
المناطق الفلسطينية في العصر النّبويّ وصدر العصر الرّاشديّ

تأليف: د. أسامة جمعة الأشقر

مؤسسة فلسطين للثقافة
للنـشـر

الأوائـل

الفهرس

توطئة: 7
منهج البحث 13
الدّراسات السّابقة 17
مدة الفتح 20
الفصل الأول: البدايات والانطلاقة 22
فتح فلسطين قرار نبوي 24
البعوث العسكرية النّبوية تخترق فلسطين 43
الاستعدادات الأولى لفتوح الشّام وفلسطين في عهد أبي بكر 51
قيادة جيوش الشّام 58
معارك المسلمين في فلسطين في خلافة أبي بكر 66
الفصل الثاني: فتوحات الأراضي الفلسطينية 75
موقعة أجنادين 79
موقعة (فحل بيسان) 86
فتح بيت المقدس (إيلياء) 94
فتح نابلس 109
فتح أريحا 110
فتح طبرية 112
فتح الجليل 115
فتح بيت لحم 118
فتح الخليل 120
فتح بيت جبرين 125
فتح الرّملة 127
فتح اللد 130
فتح يافا 131
فتح عكا 134
فتح قيْساريّة 135
فتح عسقلان 146
فتح غزة 148
فتح النّقب 155
الملاحق 159
الملحق الأول: كتب الصّلح للمدن الفلسطينية 161
الملحق الثاني: بطولات فتح فلسطين 167
شهادة عروسين في صباح عرسهما 170

عبد الله بن حذافة: محرّر الأسرى 172
(ثقتي بالله أعظمُ من حديدك) 174
الغلام اليمني 177
قتالٌ في الطين ... وتوبةٌ متنبّئ 178
أبناء عم رسول الله نماذج شجاعة وشهادة 183
جريدة المصادر والمراجع 185

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مبارك الابتداء ميمون الانتهاء

توطئة:

لم يكن سهلاً على الباحث أن يقتحم مسلكاً لم يُنفذ إليه من قبل على جهة التّفصيل والتّحقيق والاستدراك، لاسيما أنّ من كتبوا في الشّأن الفلسطيني كثير، إذ إن فلسطين شغلت الأمة منذ احتلالها فانصرف كلٌّ قادر على خدمة هذه القضية بما يستطيع، فبعضهم بسلاحه، وآخرون برأيهم ونظرهم، وآخرون ببحثهم ومعرفتهم ...؛ والذين كتبوا في التّاريخ العربي الإسلامي لفلسطين كثيرون جداً بلا ريبٍ، ومعظمهم من ذوي الفضل والدّراية والمعرفة والاختصاص، إلا أنني لم أكن أقف من هؤلاء جميعاً على أخبار شافية تكشف لنا عن حقيقة ما جرى أثناء الفتح العربي الإسلامي لفلسطين، وانتزاعها من يد الرّومان المهيمنين عليها وعلى أهلها، وكل ما كان يُعرَض علينا عموميات ومُطلَقات تستند إلى مصادر واحدة تنقل عن بعضها، وليس فيها استقصاء للمصادر المختلفة.

وقد رأيتُ كيف اعتمد معظم الباحثين والمؤرخين المعاصرين في التّاريخ الفلسطيني في تلك الحقبة على مصادر تاريخية و جغرافية في الغالب بينما تجاهل معظمهم المصادر الحديثية وكتب التّراجم والطّبقات والأنساب والسّير والمجاميع الأدبية التي تتضمن

معلومات لا يمكن إغفالها بحال، لاسيما أنها تغاير في بعض المواضع ما اعتمده المؤرخون المعاصرون في سرد الرّواية التّاريخية لفتوح فلسطين، كما أن بعض تفاصيلها لا تكاد تنجلي الصّورة إلا بها؛ وسيرى قارئ كتابنا كيف وظّفنا هذه المصادر لخدمة السّياق التّاريخي لهذه الفتوح بما يعطينا صورة أوضح مما كان يُقدَّم لنا طوال عقود مضت.

وقد يُعتذَر لهؤلاء الباحثين أن هذا الاضطراب هو نتيجة طبعية لاضطراب المرويّات التّاريخية في كتب التّاريخ التي ذُكرت لنا مرويات تلك الحقبة حيث إنها تركّز على الجانب القصصي، ومواضع العبرة في الحدث، ومشاهدات نَقَلة الخبر، دون أن تؤرّخ للحدث ذاته؛ وقد رأينا كيف تضطرب هذه المصادر في تحديد السَنة التي يحصل فيها الحدث الكبير مما يتطلب من الباحث أن يجمع الأدلة لترجيح قول على قول، وهو أمر سهل لمن أراد تحقيق ذلك لكن جمع هذه المرويات وتحقيقها ستأخذ الوقت الطّويل، وليس ذلك من أولويات كتابنا هذا رغم أن تحقيق ذلك من جملة الأمور الواجب على المحققين العمل فيها.

وقد عانى إمام المؤرخين الطّبري من هذا الاضطراب لكن منهجه في الرّواية كان يفرض عليه عرض ما تأتي عليه مروياته كما هي، ويكتفي هو بالإشارة إلى الاضطراب بقوله عند حديثه عن مرويات موقعة (فِحل بيسان): (فيه من الاختلاف ما ذكرت من فتوح

جند الشّام ومن الأمور التي تستنكر وقوع مثل الاختلاف الذي ذكرته في وقته لقرب بعضه من بعض) [1].

والطّبري هاهنا يُرجِع سبب الاضطراب إلى تداخل الأحداث والوقائع في فتوح الشّام، وقرب بعضها من بعض نظراً لسرعة إيقاع العمليات في فتوح الشّام مما أدى إلى اضطراب الرّواة لكثرة التّواريخ وكثرةالجيوش وتعدد قادتها ومناطق عملياتها وسرعة اجتماعها وتغيير قيادتها الميدانية وتكرر فتوح المنطقة نفسها عدة مرات كما سنرى.

وقد وقفتُ على نصٍ نادرٍ للواقدي يُثبت فيه قلّة مرويات فتوح الشّام ومصر، وأن ثمة راويَين لهذه الأخبار، ويعزو قلة مرويات فتوح الشّام ومصر إلى انشغال الرّواة بوقائع العراق وفتوحه حيث كانت العراق موطن التّدوين الأول: (حدثني أحمد بن عبيد عن عبد الله بن عمر السّلمي عن محمد الزهري عن عبد الله بن زيد الهذلي عن أبي إسحق الأموي - وهو المعتمد عليه في فتوح مصر وأرض ربيعة والفرس- حدثنا عمر بن حفص ولم ينفرد بهذه الرّواية سواه، وكان أصحاب السّير قد اشتغلوا بوقائع العراق وفتوحه، وما تجمد !! من سعد بن أبي وقاص وبني كسرى أنو شروان وتركوا فتوح الشّام وأرض مصر فيما بعد، وكان قد ارتحل عنهم فتركوه لأجل

(1) :تاريخ الطّبري 629/2.

الزيادة والنّقصان فيه، وإنما انفرد ابن إسحق لأنه انفرد عن مشايخ ثقات قد وثق بهم من آل مخزوم اجتمع بهم في الرّملة بعد الفتوح، أحدهم نوفل بن ساجع المخزومي، وكان عمه خالد بن الوليد وكان من المعمّرين، شهد تبوك مع النّبي صلى الله عليه وسلم، وشهد بعدها الحديبية، وشهد يوم اليمامة ومسيلمة، وكان مع عمرو بن العاص بأرض مصر في جميع فتوحها، والثاني فهد بن عاصم بن عمرو بن سهل بن عمرو المخزومي وغيرهما من الثّقات ممن شهد فتوح أرض مصر والوقائع كلها)[1].

وهذا النّص المهم يشرح لنا سبباً آخر للاضطراب الحاصل في هذه المرويات، وإغفال جوانب كثيرة في فتوح فلسطين والشّام ومصر مما يحتاج فيه الدّارس المحقق للبحث عن مصادر أخرى والتّوفيق بين هذه المرويات ومحاولة الجمع بينها وقياسها إلى شبيهاتها والنّظر في سياق الأحداث، وهو ما حاولنا فعله في هذا الكتاب الذي يقدم لنا صورة جديدة عن تاريخ الفتح العربي الإسلامي لفلسطين التي كانت جزءً من بلاد الشّام وفتوحه.

وقد كان هذا الكتاب نتيجة بحوث طويلة كانت بغرض الكتابة في موضوعات دقيقة في التّاريخ الفلسطيني زمن الفتح العربي الإسلامي الأول ستكون سلسلة بإذن الله، لاسيما بعد وقوفنا على تحريض أكاديمي كبير يبذله مستشرقون يهود وغربيون

(1) :فتوح الشّام ص 305.

يُشايعونهم، ضد هذه الحقبة بغرض إظهار أن هذه المنطقة لم تكن ذات أهمية دينية أو حضارية للمسلمين الأوائل، وأن شأنها كان كباقي المناطق التي افتتحوها لأغراض التّمدد وتوسيع رقعة الدّولة الإسلامية، وأن فتح بيت المقدس كان طارئاً ولم يكن مقصوداً لذاته، وأن معتقدات المسلمين في تلك الأرض لا تتسم بالأصالة، ويركز المستشرقون اليهود خاصة على تعدد مرويات فتح بيت المقدس في المصادر التّاريخية وصعوبة الجزم فيها لتأكيد ذلك، وهو ما فنّدناه باستفاضةٍ وتدقيق - لم أجد له ما يناظره من الكتابات القديمة أو المعاصرة - وسيجده في موضعه من هذا الكتاب.

وسيرى القارئ مدى الاهتمام الإسلامي بهذه البقعة المباركة لاسيما من النّبي صلى الله عليه وسلم وخليفتَيه من بعده أبي بكر وعمر.

وقد جاء هذا الكتاب بعد كتابنا الأول الذي تحدث عن الجماعات اليهودية في شمال غرب الجزيرة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام، والذي تناول حياتهم السّياسية والاقتصادية والاجتماعية والثّقافية والدّينية، وبحث في أصولهم ومنازلهم وقبائلهم ولغتهم ومصادر أدبهم، مما هو قريب الصّلة بكتابنا هذا، ولا غنَاء للباحث في تاريخ فلسطين وقضيتها الرّاهنة عن الوصول إلى امتدادات التّاريخ اليهودي في منطقتنا في زمن ولادة دعوة الإسلام.

وقد أنجزنا من مسودات هذه السّلسلة (وصف فلسطين في زمن الفتح - أشعار فتوح فلسطين – الصّحابة وفلسطين – الصّحابيات وبنات الصّحابة في أرض فلسطين ...). آملين أن يعيننا الله تعالى لإكمال البحث فيها، وتوسيع النّظر واستدراك ما فات الآخرين تدوينه وتثبيته.

والتزمتُ في كل ذلك الشّروط الموضوعية الأكاديمية في التّحقيق والتّدقيق واستقصاء المعلومات والتّأليف بينها لتقديمها للقارئ ناضجة مريحة ما أمكَنَ ذلك ، رغم أنني أعترف بأن ثمة أسئلة كثيرة لم أجد لها إجابة في المصادر التي وقفت عليها، فحاولتُ الإجابة عن أسئلة كنتُ أديرها في نفسي واضعاً نفسي موضع القارئ لأكون أقرب إليه وأقرب للحقيقة التي أبتغيها ويبتغيها.

إن المصادر التّاريخية لم تسعف جلالة هذا الفتح كثيراً فقدمت أخبارَه باختصار مُخلّ شديد لأحداث كبيرة، فتكتفي بعض المصادر مثلاً أن تقول في فتح مدينة كبيرة (فتحها فلان) دون أن تعطينا معلومات عن جيش الفتح وكيفية هذا الفتح وحال العدو...؛ وليس الأمر فيها كما اعتادت المصادر أن تروي لنا مثل ذلك في أخبار السّيرة النّبوية والغزوات النّبوية، إلا أن هذه المصادر قد تجود علينا بتوثيق تأريخ هذا الفتح بتاريخ أو اثنين أو أكثر دون أن توضح لنا سبب هذا الاختلاف في كثير من المواضع.

منهج البحث

يتحدد الإطار المكاني لهذا الكتاب في أرض فلسطين بحدودها الرّاهنة إلى لبنان شمالاً وإلى الأردن شرقاً وإلى البحر المتوسط ومصر غرباً وإلى البحر الأحمر جنوباً، وأورد ما يتصل بهذه البقعة بنسبٍ وثيق مما لا يسعني إغفاله نظراً لكون المنطقة (فلسطين) تتبع لقيادة جيوش الشّام عامة مما يقتضي تجريد أخبار فتوح فلسطين عن أخبار فتوح الشّام برفق وتؤدة لا بسَلْخ وانتزاع.

أما الإطار الزماني للكتاب فهو من بداية التّفكير النّبوي بفتح الشّام وفلسطين وانتهاءً باكتمال فتوح أرض فلسطين في نهاية خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أما هيكل الكتاب فقد جعلناه على فصلين رئيسَين وملحقَين، فيحوي الفصل الأول البدايات والانطلاقة لمشروع الفتح ويحوي الفصل الثاني حركة الفتوح في كافَّة الأراضي الفلسطينية.

وملحق عن كتب الصّلح التي كتبها الخليفة عمر بن الخطاب للمدن الفلسطينية ومناقشتها، وملحق آخر عن بطولات فتح فلسطين ارتأينا تزيين الكتاب بها ليحتذيها مجاهدونا الأبطال على ثرى فلسطين اليوم.

ينتمي هذا الكتاب في تصنيفه الأكاديمي إلى مباحث التّاريخ السّياسي ، ولم نتوسع في تفصيل جوانب التّاريخ الاقتصادي

والعسكري والحضاري والبشري (الدّيمغرافي) واكتفينا من الإشارة إلى هذه الجوانب بما يفيد في استجلاء الصّورة للحدث أو السّياق التّاريخي للأحداث عموماً.

اتبعنا طريقة (التحليل النّقدي) في إثبات الرّواية التّاريخية أو نفيها أو ترجيحها ثُمَّ اتبعناها في عملية السّرد والتّفصيل، علماً أن منهجنا كان يستبعد النّفي المطلق أو الإثبات المطلق لأي رواية نظراً لقلة المعطيات التي تمنعنا من جعلها دليلاً حاسماً في الإثبات أو النّفي.

اعتمدنا في هذه الدّراسة على تأصيل (فكرة) فتح فلسطين بالعودة إلى بداياتها أيام النّبوة ثُمَّ سيرورة هذه الفكرة ببدايات التّطبيق العملي لها في أواخر العهد النّبوي المدني حتَّى نهاية خلافة عمر مروراً بخلافة أبي بكر، في محاولةٍ منا لفهم السّياق التّاريخي والتّطور المنطقي لتسلسل الأحداث.

ثُمَّ قمنا بمحاولة الإحاطة بأخبار الفتوح من خلال نقاطٍ اخترنا أن تكون متركّزة على المدن الفلسطينية المشهورة اليوم، والأقاليم الكبيرة المعروفة ليتمكن قارئ هذا الزمان من المقارنة واستحضار الصّورة.

ثُمَّ إننا لم نتوسع في عرض الاختلافات والاضطرابات إذا لم تكن تحرِّر معنى أساساً نريد تثبيته أو نفيه، لذلك لم نخُضْ في

اختلافات ضبط التّواريخ للأحداث، واكتفينا بإعطاء القارئ رؤية زمنية عن مدى هذا الاختلاف في حدوده الدّنيا والعليا.

كما أننا اعتمدنا في ترجيح أي رأي من الآراء على سوق الأدلة على ترجيحنا، ولم نعتمد على استحسانٍ عقليّ أو رغبة داخلية في إثبات رأيٍ على حساب رأي، كما أننا نقدّم سبب اتجاهنا صوب أي رأي من خلال قرائن وأدلة، ونستخدم مصطلحات تعبر عن ذلك من قبيل: (يؤيد ذلك – يؤكده – يدعمه – يرجحه ...) .

وسيلحظ القارئ أننا تجاهلنا الكثير من المرويات التي تتحدث عن قضايا غيبيّة لم تثبت لدينا حديثياً على ضوابطِ أهل الحديث، وطريقةِ أهل الكلام في إثبات المرويات الغيبية، ومنها على سبيل ضرب المثل تلك المرويات التي تتحدث عن بشارة التّوراة بأن الخليفة عمر بن الخطاب سيفتح بيت المقدس وسيدخلها على هيئة معروفة، وغيرها من المرويات الغريبة التي هي أقرب إلى القصص الشّعبية منها إلى الرّواية التّاريخية العلمية، ولن نتردد في إثباتها في كتابنا إن ثبتت لدينا بنقل صحيح، وهو أمر لم نقف على ثبوته في أي حال.

وقد التزمتُ بوضع تعريف جغرافي دقيق لمعظم المناطق التي ورد ذكرها في هذا الكتاب، ولاسيما المواقع الجغرافية غير المعروفة اليوم بأسمائها القديمة، وقد بذلتُ في ذلك جهداً كبيرا بسؤال أهالي المنطقة والرّجوع إلى ما كتب في الأمر من كتابات

المحْدَثين وعقد المقارنات بين المعلومات، حتَّى صارت المعلومة التي أوردها معلومة خاصة قائمة بذاتها ولا يصح نسبتها إلى أحد بعينه لشدة ما استقصيتُ فيها، وتتبعتُ مواضعها من مصادر شفوية وكتابية وإلكترونية على مسمياتها الحالية، مما جعلني أعتقد أنه يجب مراجعة معظم ما دونته الموسوعة الفلسطينية (القسم العام) ومدوّنات المعاجم الجغرافية الفلسطينية الحديثة من تحريرات لهذه المواضع تتسم في معظمها بالضّعف واختلال الدّقة أو عدم الاستيعاب في أحسن أحوالها.

ولم نلجأ هاهنا إلى وضع مقدمات أكاديمية عامة عن أوضاع المنطقة وأحوال دولها وقاطنيها لم تكن لتفيدنا كثيراً في توضيح مقاصد دراستنا وكشف ما خفي من جوانبها، كما أنها قد تخرجنا عن سياق الموضوع محل الدّراسة، وتطيل الكتاب بما يختلط بغيره، لكننا قمنا بالتّنبيه على ما يجب ذكره مما هو مهم في سياق عرض الموضوع وتبيان مقدماته ونتائجه، وقد وجدت هذه الطّريقة التي درج عليها الأكاديميون من تخصيص أبواب طويلة لذلك ضارة بالعمل البحثي أكثر مما كانت مفيدة له إذ إن هذه المقدمات لم تكن تُستخدم في خدمة المادة العلمية أو تحقيقاتها إلا بعمومية تضلّل الباحث والقارئ لاسيما أن المساحة الزمنية لهذا العرض قد تطول بما لا يخدم مجال الدّراسة الموضوعية.

إن جميع مصادرنا كانت مصادر عربية إسلامية إذ إننا لم نقف على مرويات جوهرية من الكتابات التي تؤرخ لهذه الحقبة في

كتابات المؤرخين الأعاجم القدماء إذ معظمها يدور على رحلات ومعلومات بعيدة عن هذه الحقبة وحيثياتها وهي تهتم بالجانب الوصفي للأماكن المقدسة، كما أنها متأخرة جداً عن تاريخ موضوع دراستنا[1].

كما أن كتابات معظم المستشرقين عن المنطقة في مختلف جوانبها كانت تعتمد إلى حد كبير على هذه المصادر العربية الإسلامية ولم أكد أقف على بيانات مهمة مما لم يرد في مصادرنا مما يورده هؤلاء الباحثون الغربيون رغم حرصي على ارتياد ما كتبوه ونشروه بلغتنا، فلم أعطِف عليها إلا لِماماً مما يفيد في العرض العام لمادة بحثنا، علماً أن ثمة الكثير مما قالوه يحتاج منا إلى بيان وردّ إذ كانوا يعتمدون في آرائهم على عموميات افتراضية وتوصيفات بعيدة في معظمها عن حقيقة ما كان.

الدّراسات السّابقة

ليس غريباً أن تكثر الكتب التي تتحدث عن تاريخ فلسطين، وأن تتعدد الدّراسات التي تتحدث عن فتحها، وشاهدنا دراسات تفصيلية مهمة في جوانب سياسية وحضارية واقتصادية وبشرية ودينية واجتماعية وثقافية وإدارية... بعضها يتحدث باجتزاء واشتغال بفروع أكاديمية، وبعضها يتحدث بعمومية واستغراق.

(1) :انظر مقدمة كتاب (وصف الأراضي المقدسة في فلسطين) للحاج الرّوسي دانيال الرّاهب 22 .

وفي التّاريخ السّياسي للفتح العربي الإسلامي لفلسطين وجدنا أن معظم ما كُتب كان يعاني من المرويات التّاريخية القليلة والمجتزأة، فخرجت دراساتُهم يَعْتَورُها النّقصُ والاضطراب وعدم الاستيعاب مما تسبب في ضعف الثّقافة التّاريخية بفتح فلسطين، وهو ما حاولنا تجاوزه بتقسيمنا الجغرافي لحركة الفتوح واتجاهاتها ومواقيتها.

لكنني في هذا المقام أجد نفسي ملزماً بالثّناء على دراسة ممتازة للباحث الأستاذ خليل عثامنة المحاضر بجامعة بيرزيت الذي قدم رؤية تاريخية متقدمة في بعض فصول كتابه (فلسطين في خمسة قرون : من الفتح الإسلامي حتَّى الغزو الفرنجي) والذي طبعته مؤسسة الدّراسات الفلسطينية.

وهو كتاب قيم يستحق القراءة والمتابعة، وقد سرّني اتفاقي وإياه في بعض التّرجيحات التّاريخية رغم اختلاف عروضنا التّاريخية وطرائق استدلالنا على النّتيجة التّاريخية، ومردّ هذا الاتفاق راجع إلى أنني ابتدأت تدوين كتابي هذا من مصادره القديمة بجمع الرّوايات والتّأليف بينها ووضع تحليلاتي عليها ثُمَّ صار بين يديّ مسودة كتاب يحتاج فقط إلى تنقيح وتحرير مما كتبه المعاصرون، فلم أجد زيادةً أو تقارباً إلا في بعض ما كتبه الأستاذ عثامنة، ويبدو أن الأستاذ عثامنة مال إلى طريقتنا أيضاً في جمع مادة كتابه، وهذا هو المذهب الحق إذ لا ينبغي للباحث أن يأخذ بآراء الباحثين المعاصرين ثُمَّ يبحث عما يدلل عليها من وقائع تاريخية قديمة لأن ذلك ينافي مبدأ الاجتهاد، إذ تنبني الدّراسات على جملة المعطيات والمعلومات التي

تُعتبر بمثابة الدّليل النصّيّ الذي يُفرغ الباحث جهده فيه لاستنتاج الدّلالات منه.

وسيجد القارئ على كل حال اختلافاً كبيراً في دراستنا ودراسة الأستاذ عثامنة في تناول الموضوع وعرضه وحجم معلوماته واستدلالاته ومنهجه ونتائجه، وأعتقد أننا بقراءة الكتابين معاً سنكوّن صورة أشمل وأوضح لتاريخ الفتح العربي الإسلامي لفلسطين، لاسيما أن كتاب الأستاذ عثامنة يتناول إطارا زمنياً أوسع من زماننا بقرون،كما أنه يتناول مباحث اقتصادية واجتماعية وإداريةلم نتناولها في كتابنا لقصر المدة التي تستهدفها دراستنا التي تتناول موضوع الفتح خاصة وهي لا تتجاوز العقدين من الزمان مما لا تتوافر فيها معطيات كافية لتوسيع مجالات البحث، كما أن موضوع كتابنا يختلف عن موضوع كتابه.

أما من الكتب القديمة فإن أوفى ما وصلنا عن فتوح فلسطين كان في كتابَي (فتوح الشّام) للواقدي و(تاريخ فتوح الشّام) لمحمد بن عبد الله الأزدي، كما أن جميع مصادر التّاريخ العربي لهذه الحقبة روت أخبار الفتوح لكنها وقعت في إشكال كبير نتيجة اعتمادها على موضوع (السّنة التّاريخية) في عملية التّأريخ فدخلت أحداث الفتوح في بعضها سواء أكانت في الشّام أو العراق أو ما وراء النّهر... مما تسبب في اضطراب كبير نتيجة انعدام التّسلسل المنطقي للأحداث، كما أن بعضها الآخر كان يعتمد على سياق موضوعي في عرضه كتاريخ دمشق مثلاً إذ إن مرويات فتح فلسطين تأتي عند ابن عساكر

في سياق المادة التّاريخية الموصلة لروايات فتح دمشق وتاريخها التي هي موضوع كتابه.

أما كتابا الواقدي والأزدي فهما يتناولان موضوعاً واحدا وهو فتوح الشّام إلا أنهما وقعا في اضطراب شبيه إذ إنهما أدخلا تفاصيل الفتوح الشّامية في بعضها فتراهما ينتقلان بين فتوح البلدان الشّامية بسرعة نتيجة لتداخل حركة الفتوح وتعدد الجيوش كما أشرنا سابقاً.

إلا أنني وجدت كتاب الأزدي أكثر ترتيباً وتنظيماً وبعداً عن الاستطراد وتركيزاً في المرويات، في تسلسلٍ هادئ في عرض مروياته مع تعليقات نقدية مهمة، مما يجعل الصّورة أكثر اتضاحاً، وهذا ما أفادنا بجعلنا أكثر قدرة على تركيب صورة الحدث وسياقه في العديد من مواضع الدّراسة.

مدة الفتح

يمكننا القول إن فتح فلسطين جرى خلال سبعة عشر عاماً ابتداءً من بداية عمليات المناوشة مع الرّوم وحلفائهم العرب جنوبي الشّام وفلسطين عام ست للهجرة وانتهى الفتح عام 23 هـ باكتمال فتح مدينة قيسارية على ساحل البحر الأبيض المتوسط كما سيظهر لنا من خلال استعراض الفتوح العربية الإسلامية في فلسطين.

أمّا إن أخذنا الأمر باعتبار أولى العمليات العسكرية التي جرت على أرض فلسطين فيمكننا القول إن بعث أسامة بن زيد إلى الدّاروم

(دير البلح) بأمر النّبي صلى الله عليه وسلم عام تسع للهجرة[1] كان بداية حركة الفتوح العسكرية لأرض فلسطين.

ويمكننا اعتبار غزوة تبوك عام تسع للهجرة التي عقد فيها النّبيُّ صلى الله عليه وسلم جملة تحالفات سياسية وعسكرية مع عدد من حكّام المناطق الجنوبية للشام وفلسطين وقبائلها -كما سنوضح قريباً- بداية حركة الفتوح تجاه فلسطين.

أي أن فتح فلسطين بدأ في عهد النّبي صلى الله عليه وسلم وانتهى في السّنة التي قُتل فيها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام 23 هـ خلال أربعة عشر عاماً أو سبعة عشر عاماً باختلاف ميقات اعتبارنا لبدء عمليات الفتح العربي الإسلامي لفلسطين.

لقد كان لسرعة انتزاع فلسطين وبلاد الشّام الاستراتيجية من أكبر إمبراطورية في العالم القديم أثر كبير على اكتساب دولة الإسلام نفوذاً ومهابة في العالم كما ولد فيها الثّقة بالنّفس والمصير[2].

واتُخذت الشّام قاعدة أساسية للفتوحات والحضارة إلى الشّرق والغرب والشّمال حتَّى وصل المسلمون إلى الصّين وإسبانيا وتركيا وقلب آسيا الوسطى خلال أقل من مائة عام.

---

(1) :المحبر لابن حبيب 125.
(2): انظر: تاريخ العرب 211.

الفصل الأول

البدايات والانطلاقة

- **فتح فلسطين قرار نبوي**
- **الاستعدادات الأولى لفتوح الشّام وفلسطين**
- **قيادة جيوش الشّام**
- **معارك المسلمين في فلسطين في خلافة أبي بكر**

فتح فلسطين قرار نبوي

لقد كان النّبي صلى الله عليه وسلم يتطلّع لفتح الشّام وبيت المقدس ليظلّل الولاية السّياسية على هذه البقعة بعد أن ظللها بولايته الدّينية في رحلة الإسراء والعروج حيث صلى بالأنبياء، في إشارةٍ لوراثة دين الإسلام للأديان السّابقة وهيمنة عليها وختمها، فقد روى الطّبراني أن شدّاد بن أوس كان عند النّبي صلى الله عليه وسلم وهو يجود بنفسه فقال: ما لك يا شدّاد؟ قال: ضاقت بي الدّنيا، فقال:(ليس عليكَ، إن الشّام يُفتح ويُفتَح بيت المقدس، فتكون أنت وولدك أئمة فيهم إن شاء الله).[1]

ويبدو أن هذه البشارة بفتح بيت المقدس كان في المرحلة المكية وفي المرحلة التي تعقب نهاية مرحلة الدّعوة السّرية بمثابة الرّغبة والحلم والفكرة، حيث نلمس ذلك من سلوك بعض أصحابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ إنهم لمّا تكاملوا أربعين رجلاً وآخرهم عمر بن الخطاب جاء الأرقم بن أبي الأرقم إلى النّبي صلى الله عليه وسلم يودّعه، وأراد الخروج لبيت المقدس، فسأله رسول الله :أين تريد؟ قال: بيت المقدس، قال: وما يخرجك إليه، أفي تجارة؟ فقال : لا ولكنني أصلي فيه.
لكن فقه الأولويات وتبيان الأفضلية الشّرعية عند رسول الله جعلته يصرفه عن ذلك قائلا: (صلاة هاهنا خير من ألف صلاة)[2] إذ ليس مقبولاً أن تؤدّى عبادةٌ في مكانٍ ناءٍ بينما تحتاج الدّعوة لكل أبنائها

---

(1) : المعجم الكبير 289/7.
(2) : المعجم الكبير1/306-307 معرفة الصّحابة لأبي نعيم الأصبهاني 381/2 .

بينها، كما أن العبادة محصّلة حيث هو، وهي أكثر أجراً، لكن إرادة الأرقم الصّلاة في بيت المقدس تشير بوضوح إلى منزلة هذه البقعة وإلى التّعبئة النّبوية المبكرة باتجاهها في نفوس الصّحابة.

لقد قام النّبي صلى الله عليه وسلم بتحييد القوى الرّئيسة في الجزيرة العربية والتي يمكن أن تشكل خطراً على الدّعوة الإسلامية الوليدة والتي تمثلت بقريش صاحبة القوة العسكرية والمعنوية والاقتصادية لدى العرب، وذلك بعد سلسلة معارك انتهت آنذاك بصلح الحديبية ثُمَّ فتح مكة، ثُمَّ القضاء على الجماعات اليهودية المستوطنة في المدينة المنورة وما حولها إلى الشّمال حتَّى خيبر ووادي القرى، وكان خلال ذلك يرسل السّرايا والبعوث إلى القبائل العربية المتاخمة لتأكيد سيطرته وهيمنته، والسّعي لنشر الدّعوة الإسلامية بدرء المخاطر التي يمكن أن تتربص بالدّعاة من أصحابه صلى الله عليه وسلم.

كل ذلك جعل النّبي صلى الله عليه وسلم يسعى للبدء باستراتيجيته الجديدة للتوسع شمالاً باتجاه القوة الإمبراطورية الرّومانية التي بدت منهكة من حروبها الضّروس مع الفرس رغم انتصارها عليهم، لذلك اعتمد النّبي عدة أساليب تمزج بين السّياسي والدّبلوماسي والعسكري لتنفيذ المرحلة الأولى من استراتيجيته التي تستهدف قياس قدرة العدو على الرّد، ورصد إمكاناته ومواقعه، واستنزافه بهجمات متواصلة في أطراف إمبراطوريته.

ولم يكن غائبا عن إدراك النّبي صلى الله عليه وسلم أن قبائل عربية شامية كبيرة كانت متحالفة مع الرّومان ممثلين في الغساسنة ومعهم قبائل لخم وجذام وتنوخ وقضاعة وعاملة وبلقين... وكان هؤلاء بمثابة الدّرع الواقي لهم من هجمات الأعراب في الجاهلية ثُمَّ من الطّلائع العسكرية الأولى للدعوة الإسلامية، وكان النّبي صلى الله عليه وسلم يدرك بعقلية القائد الاستراتيجي أنه من الممكن فك الارتباط بين القوة الرّومانية المركزية وبين أطرافها التي لا ينتمي سكانها إلى هذه القومية الأجنبية، وأنه لابد لذلك من وجود قوة عربية بديلة تستطيع استقطاب هذه القبائل إلى دائرتها إذ سيكون تحالفهم مع قوة عربية ناشئة أفضل لهم من بقاء تحالفهم مع قوة أجنبية تتداعى وتضعف سلطتها على الأطراف الجنوبية نتيجة حروبها المُنهكة مع جارتها الفارسية في شمال بلاد الشّام وشرقها، كما أن وجودهم في مناطق طرفية تحظى بعمق جغرافي في صحراء الجزيرة العربية سيكون عامل أمان لهم إذا جرت الأمور على غير ما كانوا يأملون.

ويدل على ذلك ما رواه الأزدي من أن الرّوم ـ لما استنفروا حلفاءهم العرب وأجابهم الكثير من نصارى العرب ـ أن بعض عرب الشّام حَمِي للعرب (أي تعصب لهم) وغضب لهم، وكان ظهور العرب أحب إليهم من الرّوم وذلك من لم يكن منهم على دينه راسخاً[1].

(1) : تاريخ فتوح الشّام 44 .

وانتهج النّبي صلى الله عليه وسلم سياسة الحروب الاستباقية الهجومية على الأطراف الجنوبية لبلاد الشّام فكانت أولى سراياه في سنة ست للهجرة إلى (حِسْمَى) وراء وادي القرى بالقرب من (أيْلة) على ساحل البحر الأحمر الشّمالي بقيادة زيد بن حارثة في خمسمائة مقاتل إثر اعتداء قوم من جُذام على دِحْية الكلبي أثناء عودته من عند قيصر الرّوم فغنم منهم غنائم كبيرة، ثُمَّ صالحهم النّبي صلى الله عليه وسلم.[1]، ثُمَّ سريته إلى وادي القرى، ثُمَّ سرية عبد الرّحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان من هذه السّنة فأسلموا فتزوج ابنُ عوف ابنة رئيسهم تماضر بنت الأصبغ[2] وأرسل زيد بن حارثة إلى (مَدْيَن) على ساحل البحر القريبة جداً من فلسطين ونال منهم سبْياً[3].

وقد عملت هذه السّرايا في مهمات الرّدع الموضعي للمعتدين على رسل النّبي، والمعترضين لسراياه وبعوثه، إضافة إلى مهمات الاستطلاع تحسّباً لهجمات القبائل العربية الشّمالية على المدينة، بالإضافة إلى بُعدها المعنوي نتيجة حركاتها الدّائمة في كافّة المناطق الشّمالية.

وتحدثّنا المصادر أن التّفكير بضرب الرّوم كان في وقت مبكر من هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وتحديداً بعد تسعة وأربعين شهراً من هجرته أي في السّنة الخامسة للهجرة، ويذكر

(1) : سيرة ابن هشام 612/2 المغازي 555/2 الطبقات الكبرى 67/2 المنتظم 258/3 تاريخ الطبري 286/2 الكامل 208/2 .
(2) : سيرة ابن هشام 632/2 الطبقات الكبرى 68/2 تاريخ دمشق 4/2 الكامل 2/ 209 .
(3) : سيرة ابن هشام 635/2.

الواقدي أن رسول الله أراد أن يقرب من أدنى الشّام ليرهبَ قيصر، وبلغ النّبيَّ أن بدومة الجندل جمعاً عظيماً يَظلمون من مرّ بهم من الضّافطة (التّجار الأقباط والأنباط الذين ينقلون الزيت والدّقيق للمدينة) ويريدون المدينة، فخرج رسول الله بألف من المسلمين، يسير الليل، ويكمن النّهار، ويرسل العيون، فهجم على أنعامهم وماشيتهم، فتسامع به أهل المنطقة فتفرقوا[1].

وفي السّنة السّابعة للهجرة وصلت كتب النّبي صلى الله عليه وسلم إلى كافّة الملوك وسادات القبائل في الجزيرة العربية وما حولها، وكان من جملة من راسلهم هرقل قيصرُ الرّوم الذي كان مزهوّا بانتصاراته الأخيرة على أعدائه الفرس، وكان ملك بصرى الغساني هو من أوصل رسالة النّبي التي حملها دحية الكلبي إليه ليوصلها إلى قيصر[2]. وقيل إن من أوصل كتاب النّبي إلى هرقل عدي بن حاتم الطّائي ومعه دحية الكلبي[3].

ويبدو أن هذا الكتاب استرعى انتباه هرقل جداً فطلب الوقوف على أمر هذا النّبي العربي فالتقى بأبي سفيان بن حرب في إيلياء أو في غزة - اختلفت المصادر- فسأله عن دعوة هذا النّبي ونسبه وشرفه ورعيته وتعاليم دينه، وكان استنتاج أبي سفيان – وهو الزعيم السّياسي المحنّك - بعد هذه المحاورة الخطيرة (لقد

(1) : المغازي 403/1 تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) 258 الطبقات الكبرى 47/2.
(2): انظر نصوص كتبه في الطبقات الكبرى 198/1.
(3) : فتح الباري50/1.

أمِر أمرُ ابن أبي كبشة (يعني رسول الله)، هذا ملِك بني الأصفر يخافه) وفي رواية (أصبح ملوك الرّوم يهابونه في سلطانهم)[1].

ويبدو من محاورة هرقل لدحية أنه كان ميّالاً إلى محاورة النّبي صلى الله عليه وسلم ومصالحته، بل ودفع الجزية له والخروج من سورية وفلسطين والأردن وحمص، ـ كما نفهم من المصادر العربية ـ لكنه كان واقعاً تحت ضغط رعيته وحاشيته وبطارقته الذين غاظهم لينه واستماعه الهادئ لدحية الكلبي فآثر قيصر ملكه وسلطته وخاف على نفسه[2].

وأرسل إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الغساسنة رسالة أخرى مع شجاع بن وهب فهدد بالسّير إلى النّبي صلى الله عليه وسلم فكان تعليق النّبي : باد ملكه[3]. وروى الواقدي أن الحارث لما قرأ الكتاب رمى به وقال : من ينتزع مني ملكي أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئته، ثُمَّ كتب الحارث إلى قيصر بما عزم عليه فنهاه عن ذلك وطلب منه موافاته بإيلياء ثُمَّ أكرم هرقل دحية الكلبي وأمر له بمائة مثقال ذهب ووصله حاجبه بنفقة وكسوة، وطلب أن يقرئ على رسول الله السّلام فلما أبلغ دحية النّبي عن موقف الحارث قال: باد ملكه. ومات الحارث في عام الفتح[4].

---

(1) : المنتظم 279/3 فتح الباري بشرح صحيح البخاري42/1 حديث رقم7 صحيح مسلم. بشرح النووي110/12 تاريخ الطبري 291/2 الكامل 212/2.
(2) : المنتظم 281/3.
(3) : كامل 213/2 .
(4) : الطبقات الكبرى200/1 المنتظم 290/3.

كما كتب رسول الله كتاباً إلى زعيم آخر من زعماء غسان وهو جبلة بن الأيهم وبقي على إسلامه حتَّى ارتد في دمشق عندما أبى أن يكتفي بالاقتصاص ممن لطمه بلطمة وكان يريد قتله[1].

وكتب النّبي لمن أسلم من بني حَدَس من لخم[2]، وكتب إلى سعد هُذَيم من قضاعة وإلى جذام، وأمَرَهم أن يدفعوا الصّدقة إلى رسوليه أبيّ وعنبسة أو مَن أرسلاه[3]، وكتب النّبي لبني جعيل من بليّ وأقرهم على أموالهم وحلفهم لبني عبد مناف القرشيين[4].

ثُمَّ عاودت السّرايا نشاطاتها العسكرية الاستطلاعية شمالاً في السّنة الثامنة للهجرة بالقرب من مناطق النّفوذ الرّومانية فكانت أولى السّرايا إلى (ذات أطلاح) من وراء (وادي القرى) من أرض الشّام بقيادة كعب بن عمير الغفاري في ربيع الأول من السّنة الثامنة للهجرة، وكانت سرية صغيرة مكونة من خمسة عشر رجلاً فوجدوا جمعاً كبيراً من قبيلة قضاعة بزعامة رجل يقال له (سدوس) فدعوهم إلى الإسلام فأبوا وقاتلوا هذه السّرية فقتلوهم جميعاً، ولم ينج منهم سوى قائدهم أو أحد من فريق السّرية -اختلفت فيه المصادر- الذي وصل إلى النّبي صلى الله عليه وسلم جريحاً[5].

---

(1) : المنتظم 7/4، 256/5.
(2) : الطبقات الكبرى 204/1.
(3) : الطبقات الكبرى266/1.
(4) : الطبقات الكبرى249/1.
(5) : الكامل 230/2 الإصابة 454/5 المنتظم 316/3 المغازي 752/2 الطبقات الكبرى 92/2 تاريخ دمشق5/2.

ولم تبين لنا المصادر السّبب المباشر لبعث هذه السّرية الصّغيرة إلى مناطق خطرة غير حليفة سوى الإشارة إلى أنهم عرضوا عليهم الإسلام، لكننا بالنّظر إلى صغر السّرية وتوغلها في مناطق غير آمنة لدى الحدود الجنوبية لمناطق نفوذ الرّومان يمكننا التّنبؤ أن قصدها الاستطلاع والرّصد، ويبدو أنها تعرضت لمواجهة غير محسوبة تسببت في هذه المأساة إلا أن وصول قائد السّرية أعطى معلومات أولية مفيدة.

ثُمَّ شرع النّبي صلى الله عليه وسلم في استمالة القبائل الكبيرة النّافذة عبر وسائل دبلوماسية وسياسية، فأرسل في شهر جمادى الأولى من هذه السّنة أي بعد قرابة الشّهرين من سرية (ذات أطلاح) رسالة دبلوماسية إلى ملك بصرى الواقعة في جنوب سوريا الآن وكان عليها ملك من غسان إلا أن شرحبيل بن عمرو الغساني اعترض رسولَ رسولِ -الله صلى الله عليه وسلم- واسمه الحارث بن عمرو الأزدي فقتله عندما وافى (مؤتة) بأدنى البلقاء جنوبي الأردن حالياً ، ولم يُقتل لرسول الله رسولٌ غيره[1].

ولم توضح لنا المصادر أيضاً السّبب المباشر لقتل الحارث الأزدي، وإن كُنَّا لا نستبعد أن يكون ذلك بسبب شعورهم بالإهانة من توجيه رسالةٍ لهم - وهم ملوك الشّام - من طرف جهة غير معلومة القوة يمكن لها أن تنازعهم سيادتهم فاستبد بهم الكبر والغرور وصرفهم عن مراعاة التّقاليد المرعية في التّعامل مع الرّسل

(1) : تاريخ دمشق 7/2 المنتظم 318/3.

والسّفراء، ويؤيد ذلك موقف الحارث الغساني من رسالة النّبي صلى الله عليه وسلم إليه فكانت جريمة كبيرة من الغساسنة يترتب عليها موقف نبوي شديد لأن قتل السّفير هو بمثابة رسالة شديدة اللهجة إلى مَن أرسله، وتتضمن رداً عدائياً صارخاً على مبادرة سياسية يمكن التّعاطي معها دون هذا الاستفزاز والتّصعيد كما فعل بقية الملوك والسّادة في الجزيرة العربية وأطرافها ومصر.

عند ذلك جهز النّبي صلى الله عليه وسلم جيشاً يقدَّر تعداده بثلاثة آلاف مقاتل، ووجّههم إلى مؤتة وزودهم بوصية الدّعوة إلى دين الإسلام فإن استجاب خصومهم وإلا قاتلوهم ، وفي المقابل استعد شرحبيل الغساني باستعراض عسكري قوي حشد فيه أكثر من مائة ألف مقاتل من القبائل العربية الشّامية من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبَلِيّ ووائل وبكر، وجعل القائد عليهم رجلا اسمه مالك بن رافلة، وانضم إليهم هرقل نفسه في مائة ألف من جيشه الرّوماني عند (مآب) بينما عسكر المسلمون في معان[1].

وتتحدث المصادر عن مفاجأة كبيرة شعر بها قادة معركة مؤتة المسلمين الثلاثة زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة وجعفر بن أبي طالب من هذه الحشود الضّخمة، ثُمَّ استقر بهم الرّأي على مقاتلة الرّومان مدفوعين بقوة معنوية كبيرة لكنها لم تستطع مواجهة استحار القتل بالمسلمين مما اضطرهم إلى تأمير خالد بن

(1) : سيرة ابن هشام 373/2 الكامل 234/2- 236 المنتظم 3/ 319 – 322 .

الوليد عليهم فانسحب بهم ضمن خطة دقيقة قللت خسائر المسلمين كثيراً.

وقد كان واضحاً أن النّبي صلى الله عليه وسلم كان يدرك صعوبة هذه المعركة وأنها أشبه بعملية فدائية استشهادية لذلك كان حريصاً على تسمية قادة هذا الجيش واحداً واحداً لئلا يحصل الاضطراب نتيجة الضّغوط الهائلة التي سيواجهونها، وكان واضحاً أيضاً تأييد النّبي صلى الله عليه وسلم لانسحاب خالد بن الوليد الذي خاض معركة كبيرة تتجاوز إمكانات جيش المسلمين فانحاز بهم، ووصفهم النّبي صلى الله عليه وسلم بالكُرّار على هيئة صيغة التّكثير في إشارة منه إلى أن هذه الهجمات ستتواصل، وأن ما فعلوه كان انتصاراً إذ حافظوا على قوتهم بانسحابهم هذا دون أن يفنى الجيش.

ولا شك أن نتيجة هذه المعركة قد جعلت الطّرف الرّوماني يشعر بالزهو والقدرة على مواجهة العدو الجنوبي الجديد، وغالب الظّن عندي أنهم اعتبروا غزوة مؤتة واحدة من الغارات البدوية التي كانت تشنها عليها بعض القبائل العربية لكنها كانت أكبر من المعتاد.

وفي المقابل باتت صورة العدو بإمكاناته وقدراته كاملة المشهد لدى النّبي -صلى الله عليه وسلم- كما أن خريطة التّحالفات الرّومانية مع القبائل العربية أصبحت أكثر وضوحاً، كما اتضحت

الدّروب الخطرة في الطّرق المؤدية إلى جنوبي بلاد الشّام لذلك سيحرص النّبي - صلى الله عليه وسلم- كما سنرى على عدم اختراق الطّرق التّقليدية التي سلكها جيش مؤتة، وسيتجه إلى دروب حدودية وإلى توغلات في مناطق جنوبية بعيدة عن النّفوذ القوي للجيوش الرّومانية والعربية المتحالفة معها كما سنرى، وإلى اعتماد سياسة الاستنزاف وحرب العصابات والسّرايا والبعوث العسكرية التي يتجاوز تعداد الواحد منها الخمسمائة مقاتل.

وبعد قرابة الشّهر من هذه المعركة في شهر جمادى الآخرة أرسل النّبي صلى الله عليه وسلم سرية كاملة إلى ذات السّلاسل في شمال الجزيرة العربية تتألف من ثلاثمائة مقاتل بقيادة عمرو بن العاص الذي أسلم قبل بضعة أشهر من هذه الولاية الميدانية في معركة استباقية لهجوم ستشنه قبيلة قضاعة ومن معها من بليّ على أطراف المدينة، وكانت السّرية تتحرك في إطار بالغ من السّرية حيث كانوا يتحركون ليلاً ويكمنون نهاراً لئلا تصل أخبارهم إلى أعدائهم وليحقّقوا عنصر المفاجأة في عدوهم، ففوجئ عمروٌ بحشود كبيرة من قضاعة ففضّل التّمهل حتَّى يعزّز قوته بمدَدٍ من المدينة فجاءه مدد يقدر بمائتي مقاتل بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح ومعه ثلة من كبار الصّحابة كأبي بكر وعمر فوطئ عمرو أراضي قبيلة بليّ ودوّخهم كما يذكر ابن سعد في طبقاته ووصل

أقصى بلادهم وبلاد قبائل عُذْرة وبلقين، ثُمَّ لقي جمعاً فحمل عليهم فهربوا وتفرقوا[1].

ونقل ابن أبي شيبة في مصنّفه أن غزوة ذات السّلاسل كان العدو المستهدف فيها من لخم وجذام[2].

وقد أدت هذه السّرية دورها الكامل في تعزيز هيبة النّبي صلى الله عليه وسلم وإثارة المخاوف من مواجهة هذه القوة الجديدة في الحجاز؛ ولاشك أن هذه المعلومات قد وصلت إلى مسامع ملوك الشّام من العرب المستعربة وحكام الرّوم وأدركوا أنهم أمام قوة مصرّة على بلوغ هدفها وأنهم لم ينكسروا نتيجة معركة مؤتة.

وينقل الطّبري أن النّبي صلى الله عليه وسلم كان يستنفر النّاس في هذه الغزوة إلى الشّام[3] في إشارة كاشفة لطبيعة الأهداف البعيدة لهذه السّرايا.

كما أفادت المعركة في تجييش بعض العرب ممن كانوا في طريق عمرو بن العاص وتجنيدهم في هذه السّرايا، واستغل النّبي صلى الله عليه وسلم صلة الرّحم بين عمرو بن العاص وقبيلة بليّ لأنهم أخواله إذ إن أمه بلويّة منهم وقيل قضاعية[4] .

---

(1) : سيرة ابن هشام 632/2 الطبقات الكبرى99/2 تاريخ دمشق 21/2-27 المغازي الكامل 232/2 المنتظم 3/ 321 تاريخ دمشق22/2.
(2) : المصنف لابن أبي شيبة 251/13 .
(3) : تاريخ الطبري315/2.
(4) : تاريخ الطبري315/2 تاريخ دمشق23/2 الكامل 232/2.

وبعث رسول الله بَعثين إلى كلب وغسان وكفار العرب على مشارف الشّام، وأمّر على أحد البعثين أبا عبيدة ابن الجراح وعلى الآخر عمرو بن العاص[1].

ثُمَّ عمل النّبي صلى الله عليه وسلم في الأشهر الأخيرة من السّنة الثامنة للهجرة على ترسيخ الاستقرار الدّاخلي وتأكيد سلطته على الحجاز ومشارف اليمن عبر فتح مكة والطّائف، وتواصلت سراياه في هذا العام وأوائل السّنة التّاسعة للهجرة إلى اليمن ونجد، مما جعل العرب على ثقة بأن النّبي محمداً هو القائد الكبير بلا منازع لهذه المنطقة الواسعة من بلاد العرب، فتقاطرت الوفود إليه من كل أنحاء الجزيرة العربية، وكان مِن جملتهم وفود عربية قدمت من مشارف الشّام وجنوبي فلسطين كوفود الدّاريين من فلسطين كما سيأتي مفصلاً في مواضعه.

لكن غزوة تبوك بقيادته شخصياً كانت الغاية في وضوح مقصد النّبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بفتح الشّام والقضاء على السّيطرة الرّومانية لمناطق يغلب على سكانها الوجود العربي؛ فأمر النّبيُّ في صيف قائظ في رجب من السّنة التّاسعة للهجرة أن يتجهز النّاس لغزو الرّوم لمّا بلغه أن هرقل ومن معه من متنصرة العرب قد عزموا على قصده، وأن هرقل قد أعطى أصحابه أجور قتالهم لسنةٍ، وأجلَبَ معه قبائل لخم وجذام وعاملة وغسان ... ، واستنفر رسول الله كافَّة حلفائه وأنصاره من القبائل لمشاركته في هذه المعركة

(1) : تاريخ دمشق 25/2 .

الخطيرة، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك من أرض الشّام قرابة العشرين يوماً ينتظر الأخبار عن هذه الجموع التي وصله الخبر عنها إلا أن معركةً لم تقع إما لأن هذه المعلومات لم تكن دقيقة، أو أن الرّوم استثقلوا الحرب في الصّحراء في هذا المناخ القائظ الحارق[1].

ومصدر هذه الأخبار التي اعتمدها النّبي صلى الله عليه وسلم كانت من (الضّافطة) وهم التّجار الأقباط والأنباط الذين يقدمون بكثرة على المدينة يحملون الزيت والدّرْمَك(الدّقيق) [2].

ويروي ابن عساكر أن أخبار جموع الرّوم كانت باطلة كما استنتجنا آنفاً، وشاور رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في التّقدم فقال عمر بن الخطاب:إن كنتَ أمِرتَ بالسّير فسِرْ، فقال: لو أمرتُ به ما استشرتكم، فقال عمر: إن للروم جموعاً كثيرة وليس بها أحد من أهل الإسلام، وقد دنوتَ منهم حيث ترى وقد أفزعهم ذلك فلو رجعت هذه السّنة حتَّى ترى[3].

وقد أظهرت لنا هذه الرّواية حرص النّبي صلى الله عليه وسلم على غزو الشّام، إلا أن كلام عمر أوضحَ الموقفَ العسكريَّ الاستراتيجي من دخول جيش نظامي كبير بقيادة النّبي نفسه إلى معركة غير محسوبة النّتائج لأن في ذلك التّوغل إلى أرض بعيدة ليس لهم فيها حلفاء من دينهم مخاطرةً كبيرة، وأدرك عمرُ بمشورته الدّقيقة أن

(1) أخبار غزوة تبوك تجدها في سيرة ابن هشام 520/2 تاريخ فتوح الشّام168-245 تاريخ الطبري366/2 تاريخ دمشق28/2 المنتظم 362/3 الكامل 276/2.
(2) : تاريخ دمشق 34/2.
(3) تاريخ دمشق 37/2.

مجرَّد التّقدم إلى مشارف الشّام في تبوك سيحقق نتائج معنوية كبيرة ضد العدو الرّوماني وسيفزعهم هذا الحِراك العسكري على تخوم إمبراطوريتهم.

وقد تمكّن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبر هذه السّياسة العسكرية الاستباقية في تبوك من تعزيز هيبته وتأكيد قوته فبادرت إليه زعامات جنوبي الشّام لمصالحته ومحالفته فقدم إليه في تبوك صاحب (أيلة) (قرب العقبة) واسمه يوحنا بن رؤبة، - وهو نصراني عربي من بني جذام - قدم على النّبي وعليه صليب ذهبي معقود النّاصية، فصالح على جزية قدرها ثلاثمائة دينار سنوياً، وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء كانت بمثابة عربون صداقة، وكتب له كتاباً كما صالحه أهل المناطق المحاذين لساحل البحر الأحمر الشّمالي حتَّى العقبة فصالح أهل أذرح على مائة دينار تدفع في رجب من كل عام وصالح أهل مقنا على ربع ثمارهم وصالح أهل جرباء على الجزية[1].

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم الأمان وذمته بذلك وألا ظلمَ عليهم ولا اعتداء وفصّل لهم الجزية المفروضة عليهم.

(1) سيرة ابن هشام 525/2 تاريخ الطبري372/2 الكامل 2/ 280 وانظر تفصيل كتبه في الطبقات الكبرى لابن سعد 212/1 ونص كتابه إلى أهل أيلة في الأموال لابن زنجويه463/1 ونص كتبه إلى يوحنا وأهل جرباء وأذرح في دلائل النبوة 247/5- 248.

وبعض المصادر تشير إلى أن صاحب أيلة هو (ابن العَلْماء) حيث جاء رسوله إلى النّبي في تبوك بكتاب وأهدى له بغلة بيضاء فكتب له رسول الله وأهدى له بردة وكتب له ببحرهم[1].

وأوضح ابن حجر العسقلاني أن الرّوايات الأخرى للحديث جاءت بتوضيح اسمه واسم أبيه (يوحنا بن رؤبة) وأنه من المحتمل أن تكون (العلماء) اسم أمه[2] فعلى ذلك لا يكون (ابن العلماء) شخصاً آخر بل هو يوحنا نفسه.

ويبدو أن وجود النّبي صلى الله عليه وسلم على رأس جيشه في تبوك أثار ذعر الحكام المحليين المجاورين للمنطقة إذ يروي ابن سعد أن دومة وأيلة وتيماء قد خافوا النّبي لما رأوا العرب قد أسلمت، وقدم يوحنا بن رؤبة أو(يحنة بن روبة كما بعض المصادر) على النّبي صلى الله عليه وسلم وكان ملك أيلة كما قدمنا، وخاف أن يبعث له النّبي بعوثاً كما فعل مع أكيدر دومة (سيأتي ذكره) فأقبل يوحنا ومعه أهل الشّام وأهل اليمن وأهل البحر ومن جربا ومن أذرح فأتوه فصالحهم وقطع عليهم جزية معلومة، والنّاظر في نص كتابه إليهم يدرك البعد العسكري الاستراتيجي في اتفاقه (بسم الله الرّحمن الرّحيم: هذا أمَنة من الله ومحمد النّبي رسول الله ليُحَنّة بن رُوبة وأهل أيلة لسفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد

(1) : تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) 519 فتح الباري بشرح صحيح البخاري – كتاب الزكاة – باب خرص التّمر 402/3 حديث رقم 1481وسياق الرّواية يتفق مع ما نذكره.
(2) : فتح الباري405/3 .

رسول الله ولمن كان معهم من أهل الشّام وأهل اليمن وأهل البحر ... وأنه لا يحل أن يُمنَعوا ماء يردُونه ولا طريقا يردونه من بر وبحر)[1].

وبهذه الاتفاقية مع يوحنا يتضح لنا تحييد هذه المنطقة السّاحلية حتَّى جنوبي الأردن وفلسطين بسبب ما تحقق لهم من حرية الملاحة والتّجارة والحصول على الماء وضمان عدم الاعتداء، وهذا مكسب سياسي كبير لهذه المنطقة ومكسب استراتيجي أكبر للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو اعتراف سياسي بهذه السّلطة الجديدة وفرض لسيادتها على هذه المنطقة المهمة.

كما أن بعض عمّال الرّوم من العرب أسلموا وكانوا ردءاً للنبي صلى الله عليه وسلم وعوناً ودعاةً، فمنهم فروة بن عمرو بن النّافرة من بني نفاثة الجذاميين، وكان عاملاً للروم على من يليه من العرب، وكان منزله (معان) من أرض الشّام وما حولها[2].

ونستنتج من هذه المكاتبات والمصالحات أن النّبي صلى الله عليه وسلم قام بتأمين المناطق الجنوبية للشام وفتح ثغرة كبيرة ستدخل منها أولى البعوث والسّرايا إلى جنوبي فلسطين من طريق أيلة،كما وفرت هذه الاتفاقيات المؤن وبعض التّمويل لبعوث النّبي صلى الله عليه وسلم وجيوشه، ولذلك كان متوقعاً أن يكون رد الرّومان بحق صاحب أيلة تحديداً شديداً إذ ينقل ابن خلدون في تاريخه أن هرقل عندما بلغه أن يوحنا فعل ذلك أمر بقتله وصلبه

---

(1) : سيرة ابن هشام 525/2 الطبقات الكبرى220/1 تاريخ دمشق 41/2- 42.
(2) :سيرة ابن هشام 591/2 الطبقات الكبرى 215،266/1 دلائل النبوة 410/5 وفي مجمع الزوائد 380/9 (أن اسمة فروة بن نعامة وقيل ابن عامر وكان منزله بعمان)وهو تصحيف.

عند قريته[1]، وهذا ما فعلوه أيضا بفروة بن عمرو الجذامي فطلبوه حتَّى حبسوه ولمّا أخرجوه ليضربوا عنقه ثبت على دينه وقال: (أبلغ سراة المؤمنين بأنني سلم لربي أعظمي ومقامي) فضربوا عنقه وصلبوه[2].

لكن ذلك لم يغير من الواقع كثيراً إذ كان الاتفاقُ مع يوحنا وسروات أهل أيلة، وقد حافظوا على ميثاقهم في أيام الرّاشدين وعلى الجزية نفسها[3].

وثمة أمر يشد الانتباه حيث يذكر ابن سعد في طبقاته عن الواقدي أن أهل (مقنا) هؤلاء يهود على ساحل البحر وأن أهل جربا وأذرح يهود أيضاً[4] وكان في هذا ما يدفعنا للظن أن يوحنا صاحب أيلة كان يهودياً لولا أن الرّواة ذكروا أنه كان يضع صليباً ذهبياً، وأنه من عمال الرّوم، لكن ذلك يوضح الانفتاح السّياسي للسياسة النّبوية في توسعه نحو الشّام لاسيما أن اليهود كانوا معه على خصومة شديدة بعد أن أجلاهم وحارب قبائلهم، وقد رجحت في كتابي (الجماعات اليهودية) أن هذه القبائل اليهودية عربية الأصل أو أنها من بقايا العائلات اليهودية الهاربة من الرّومان التي تعرّبت وعقدت تحالفات مع القبائل العربية المحيطة كما تفعل القبائل

(1) : تاريخ ابن خلدون القسم الأول 224/2 .
(2) سيرة ابن هشام 592/2 الطبقات الكبرى 266/1 دلائل النبوة 410/5 مجمع الزوائد 380/9 وفيها: أنهم صلبوه في منطقة عفراء بفلسطين؛ والخبر برواية قريبة في المنتظم 9/4.
(3) : الكامل 280/2.
(4) : الطبقات الكبرى 212/1 .

العربية الأخرى بها لتأمين نفسها من غارات قبائل أخرى وتأمين خط التّجارة الذي يمر بالقرب منها[1].

كما يذكر ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى (بني جنبة) وهم يهود بمقنا[2]، وإلى بني غاديا وإلى بني العريض وهم قوم من يهود[3]. وغالب الظّن أن بني غاديا وبني الغريض هؤلاء هم من قوم السّموأل بن عادياء صاحب تيماء.

والاستنتاج من هذه المكاتبات النّبوية مع اليهود المستوطنين في تلك البقاع أن النّبي صلى الله عليه وسلم أضاف إلى عناصر مواجهته مع الرّوم البعد الدّيني حيث ضم هذه المجموعات اليهودية إلى قائمة تحالفاته ضد هذه الإمبراطورية التي كان لها تاريخ سيئ مع اليهود في فلسطين والشّام.

كما وسع النّبي صلى الله عليه وسلم دائرة نفوذه بالإغارة على دومة الجندل الواقعة في منطقة وسيطة في مشارف الشّام، وكان عليها ملك نصراني عربي من قبيلة (كِنْدة) يقال له (أكيدر بن عبد الملك) فأسره خالد بن الوليد وهو يصطاد قريباً من حصنه فحقن رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه وصالحه وخلى سبيله[4].

---

(1) : الجماعات اليهودية 12، 15.
(2) : الطّبقات الكبرى 1/ 212.
(3) :الطّبقات الكبرى 213/1.
(4) : سيرة ابن هشام 526/2 تاريخ دمشق 42/2 .

البعوث العسكرية النّبوية تخترق فلسطين

كانت فلسطين في موضع عين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل وهو في تبوك علقمة بن مُجَزِّز المُدْلِجي إلى فلسطين كما روى ابن عائذ في مغازيه عن ابن عباس[1] ، ويحدد ابن الكلبي وجهة علقمة بصورة أدق بأنها إلى الدّاروم (دير البلح) من أرض غزة [2]. وسيكون لعلقمة بن مجزز دور كبير في فتح فلسطين بعد ذلك أيام أبي بكر وعمر، وسيغدو حاكماً على بيت المقدس بعد فتحها كما سنبيّن لاحقاً.

هذه الاختراقات السّياسية والعسكرية المهمة التي ذكرناها سالفاً لجنوبي بلاد الشّام جعلت البعوث العسكرية أكثر تأميناً وجَرَاءة على بلوغ أهداف أعمق، وكانت آخر مهمة عسكرية أمر بها النّبي صلى الله عليه وسلم باتجاه فلسطين وتحديداً إلى الجنوب الغربي من مدينة الرّملة الفلسطينية عند بلدة (يبنا) القريبة من ساحل البحر الأبيض المتوسط، وإلى البلقاء (الأردن) والدّاروم (دير البلح في قطاع غزة).

فقد روى أبو داوود[3] وأحمد في مسنده [4] وابن ماجه في سننه [5] عن أسامة بن زيد قال: (أمرني رسول الله لمّا وجهني، فقال: أُغدُ على يبنا (وفي رواية أبْنا) صباحاً ثُمَّ حَرِّق).[1]

---

(1) : الإصابة 461/4.
(2) : جمهرة النسب لابن الكلبي159 .
(3) : كتاب الجهاد 88/3 حديث رقم 2616.
(4) : المسند (205/5).
(5) : كتاب الجهاد 948/2 حديث رقم 2843.

و(أبْنَى) أو (يُبنا) هي قرية (يبنا) التي ينطقها أهلها بكسر الياء في هذا الزمان، والتي تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة الرّملة، ودليل ذلك ما رواه أبو داوود عن أبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني إمام أهل الشّام في الحفظ والإتقان ومعرفة الحديث قوله عن تأويل أبنى: (نحن أعلم هي يبنا فلسطين)[2].
وزاد البكري في معجم ما استعجم من رواية أبي داوود عن ابن أبي عمر العدني عن أبي مسهر : نحن أعلم هي بين فلسطين والبلقاء.[3] ثُمَّ خلط البكري بينها وبين موضع موقعة مؤتة.

وقال ابن الأثير الجزري في تعليقه على هذا الحديث : (أبْنَى) اسم موضع من فلسطين بين عسقلان والرّملة[4]. ونقل عنه هذا ابن منظور في لسان العرب.[5]

وعدّ اليعقوبي أحد أقدم مدوّني التّاريخ والجغرافيا المسلمين عند حديثه عن كوَر جند فلسطين مدينة (يبنا) من هذه الكور وقال إنها مدينة قديمة مبنية على قلعة وهي التي يُروى أن أسامة بن زيد قال أمرني رسول الله أن (اغد على يبنا صباحاً ثُمَّ حرق)[6].ويروي اليعقوبي أيضاً في تاريخه أن رسول الله أمر أسامة بن زيد أن يغزو (يبنى) من أرض فلسطين[7].

---

(1) : وانظر أيضاً تاريخ دمشق 47/2 – 55، المغازي 1117/3 تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) 713 الطبقات الكبرى145/2.
(2) : سنن أبي داود كتاب الجهاد 948/2 حديث رقم 2843 ، تاريخ دمشق أيضاً 49/2 السنن الكبرى للبيهقي84/9.
(3) : معجم ما استعجم101/1.
(4) :النهاية في غريب الحديث18/1.
(5) : سان العرب (أبن) 54/1.
(6) : البلدان 167.
(7) : تاريخ اليعقوبي113/2.

إلا أن ابن إسحاق في سيرته والطّبري في تاريخه يذكران أن النّبي صلى الله عليه وسلم ضرب بعثاً إلى الشّام وأمر عليهم مولاه أسامة بن زيد وأن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والدّاروم من أرض فلسطين[1].

وفي رواية أخرى رواها الطّبري عن راويه الشّهير سيف بن عمر أن النّبي أمره أن يوطئ من (آبل الزيت) من مشارف الشّام الأرض بالأردن[2].

وليس في هذه الرّوايات تناقض إذ يبدو من الرّواية الأولى للطبري أن لبعث أسامة هدفين أحدهما آبل الزيت في البلقاء، وهو موضع تابع للواء إربد في الأردن حالياً، وتفيد المرويات التي ذكرها ابن سعد في طبقاته أن هذا الموضع قريب من الموضع الذي قُتل فيه والد أسامة (زيد بن حارثة) في مؤتة حيث من الممكن أن يكون قائد الجيش الذي قتل القادة الثلاثة في مؤتة متحصّناً هناك.

ويؤيد هذا الرّأي ما قاله الخليفة أبو بكر لأسامة بن زيد عند إنفاذ جيشه: (امض يا أسامة في جيشك للذي أمرتَ به، ثُمَّ اغز حيث أمرك رسول الله من ناحية فلسطين وعلى أهل مؤتة)[3]. وهذا النّص يحسم الخلاف في تعدُّد هذه المرويات بالصّورة التي أبنّاها.

---

(1) : سيرة ابن هشام 642/2، 606 تاريخ الطبري 429/2.
(2) : تاريخ الطبري 429/2 تاريخ دمشق 47/2.
(3) : تاريخ دمشق 53/2.

وقد بدا ها هنا أن أسامة لم يتوغل في عمق بلاد الشّام فانحاز إلى الهدف الثاني في الجنوب الغربي باتجاه ساحل البحر المتوسط فأغار على (الدّاروم) - وهي دير البلح في قطاع غزة- ، ويؤكد ذلك ما رواه ابن حبيب في (المحبر)[1] أن النّبي صلى الله عليه وسلم أنفذ أسامة بن زيد سنة تسع إلى الدّاروم من أرض فلسطين فغنم وسلِم.

ثُمَّ اتجه شمالاً في أرض رومانية فيها حاميات رومانية ومستعربة غير مستعدة، فأغار على (يبنا) ليلا وحرّق فيها وغنِم، ويروي الواقدي تفاصيلها التي تبيّن كيفية توغّله إلى عمق الأراضي الرّومانية باعتماد العيون وعنصر المفاجأة:(خرج أسامة فوطئ بلاداً هادئة لم يرجعوا عن الإسلام (بلادَ) جهينة وغيرها من قضاعة، فلما نزل وادي القرى قدَّم عيناً له من بني عُذْرة يدعي (حُرَيْثاً) فخرج على صدر راحلته مُغِذّاً حتَّى انتهى إلى (أبنى) فنظر إلى ما هناك، وارتاد الطّريق، ثُمَّ رجع سريعاً حتَّى لقي أسامة على مسيرة ليلتين من أبنى فأخبره أن النّاس غارّون ولا جموع لهم، وأمره أن يسرع السّير قبل أن يجتمع الجموع وأن يشنها غارة)[2].

وجرى كل شيئ بسرعة فلم يشعر بهم أحد، حتَّى الكلاب لم تنبح، فقتل من تعرض لهم وسبى منهم ولم يتوغل، واكتفى بما قرب منهم، وحرق من منازلهم وزروعهم، ثُمَّ خرجوا بسرعة إلى طريقهم الذي جاؤوا منه متسترين بالليل دون توقف، ومعهم دليلهم

(1) : المحبر 125.
(2) : المغازي 1123/3،1122 وتاريخ دمشق 58/2 .

حريث العذري وقسم الغنائم بأن جعل للفرس سهمين وللفارس سهماً[1].

أما تعداد الجيش فقد ذكر الواقدي أن بعث أسامة كان فيه ثلاثة آلاف مقاتل بينهم سبعمائة قرشي وقيل كان في جيشه سبعمائة مقاتل[2].

والأظهر لي أن تعداد الجيش كان سبعمائة وليس ثلاثة آلاف، لأن طبيعة المهمة العسكرية لهذا البعث كانت خاطفة وسريعة وهي غارة مما يتطلب أن تكون خفيفة المحمل مرنة الحركة حتَّى تتمكن من تحقيق عنصرَي المبادأة والمفاجأة، كما أن عدم تسميتها باسم (جيش أسامة) قرينة أخرى على ذلك.

لقد كان قرار النّبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإنفاذ هذا البعث إلى يبنا في شهر محرم أو صفر من عام 11 هـ على القول المشهور، أو في سنة تسع للهجرة على ما نقلناه آنفاً عن ابن حبيب، وعسكر هذا الجيش الذي فيه كبار الصّحابة في منطقة (الجرف) قرب المدينة المنورة، حيث تأخر خروجه بسبب الأنباء عن شدة مرض النّبي ـصلى الله عليه وسلم ـ وبقي هذا الجيش ينتظر الإذن بالسّير حتَّى مات النّبي ـصلى الله عليه وسلم ـ وبويع لأبي بكر بالخلافة فكان أوَّل قرار اتخذه هو إنفاذ بعث أسامة إلى الجهة التي قررها النّبي ـصلى الله عليه وسلم ـ رغم توتر الوضع الدّاخلي بانتشار التّمرد، والرّدة الواسعة في القبائل العربية، وكان من شدة أبي بكر

(1) : المغازي 1124/3 تاريخ دمشق 59/2.
(2) : فتح الباري759/7.

في إنفاذ هذا البعث أنْ هدّد كل من انتدب للسير في هذا البعث بأنه (لن يؤتَى بأحد أبطأ عن الخروج معه إلا ألحقه به ماشياً)[1].

والواقدي في كتابه (الصّوائف) جعل سرية أسامة بن زيد إلى يبنى في السنة العاشرة، وقال إن غزوة أسامة ابن زيد إلى آبل الزيت كانت في سنة 11 هـ[2]، ولكن ابن عساكر يستدرك على الواقدي بقوله: (ولم أجد أحدا من العلماء فرق بين غزوة (يبنى) وغزوة آبل الزيت غير الواقدي(وتابعَ) وعندي أنهما غزوة واحدة أغار فيها على الموضعين)[3] وهو عينُ ما ذهبنا إليه.

خلال ذلك كله كان النّبي صلى الله عليه وسلم ينفتح على المزيد من القبائل العربية الشّمالية ويتواصل معهم فكانت السنة التّاسعة والعاشرة للهجرة مليئة بأخبار الوفود والبعوث والسّرايا بعد أن دانت له مكة والحجاز، وأسلمت قبيلة قريش؛ ولخص ابن الأثير سبب هذا التّوافد بقوله: (لما افتتح رسول الله مكة وأسلمت ثقيف وفرغ من تبوك ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، وإنما كانت العرب تنتظر بإسلامها قريشاً إذ كانوا أمام النّاس وأهل الحرم وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم، لا تنكر العرب ذلك وكانت قريش هي التي نصبت الحرب لرسول الله وخلافه، فلما فتحت مكة وأسلمت قريش عرف العرب أنها لا طاقة لها بحرب رسول الله ولا عداوته)[4].

---

(1) : سبل الهدى والرّشاد 250/6.
(2) : تاريخ دمشق 3/2 .
(3) : تاريخ دمشق2/ 3.
(4) : الكامل 286/2.

فقدم عليه وفد بلَيّ في ربيع الأول من سنة تسع وأسلموا [1] وقدم عليه وفد عذرة في صفر وأسلموا [2] وقدم وفد كلب فأسلموا[3] وقدم وفد من غسان في شهر رمضان سنة عشر للهجرة وكانوا ثلاثة فأسلموا، إلا أنهم لم يستطيعوا إقناع قومهم بالإسلام لمّا رجعوا إليهم فكتموا إسلامهم ولقي أحدُ الثلاثة أبا عبيدة بن الجراح يوم اليرموك مسلما فأخبر أبا عبيدة بإسلامه فأكرمه. [4] وقدم وفد الدّاريين من جنوب فلسطين وكانوا عشرة فأسلموا وذلك منصرَفه من تبوك، وبقوا معه حتَّى وفاته -صلى الله عليه وسلم- وأقطعهم النّبي قريتين من قرى جنوب فلسطين إن فتح الله عليه الشّام[5]،وقدم وفد من جذام على رأسه رفاعة بن زيد الجذامي في الهدنة قبل خيبر وكتب له كتاباً يدعو قومه للإسلام ومن أبى فله أمان شهرين فأجابه قومه وأسلموا[6].

وقدم وفد عاملة في السّنة العاشرة وكانت عاملة تسكن في شمال فلسطين والبلقاء[7] وكتب لبني جعال بن ربيعة بن زيد الجذاميين أن لهم (إرم) لا يحلها أحد عليهم لغلبهم ولا يحاقهم[8].وإرم هذا جبل بصحراء النّقب بين أيلة وسيناء[9].

---

(1) : الطّبقات الكبرى249/1 الكامل 287/2.
(2) الطّبقات الكبرى250/1 .
(3) : الطّبقات الكبرى 252/1.
(4) : الطّبقات الكبرى255/1.
(5) : الطّبقات الكبرى258/1.
(6) : الطّبقات الكبرى266/1،215.
(7) : المنتظم 382/3 .
(8) : معجم البلدان إرم 154/1-155.
(9) : معجم البلدان إرم 154/1-155.

وقد كتب لهم النّبي صلى الله عليه وسلم كتباً يظهر فيها الجانب الاقتصادي بأداء الزكاة وما يجب عليهم دفعه نظير الأمان وذمة رسول الله، إلا أن هذا الجانب يتضمن الإقرار بسلطة النّبي صلى الله عليه وسلم السّياسية.

الاستعدادات الأولى لفتوح الشّام وفلسطين في عهد أبي بكر

كان النّبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أنجز مراحل متقدمة من خطته لفتح بلاد الشّام كلها وأصبح مصدر تهديد حقيقي لسلطة الرّومان وأصبح الطّريق ممهداً لمواجهة الجيش الرّوماني مباشرة بعد أن تعاظمت القوة العسكرية للمسلمين وتوافد عليه العرب من كل مكان يحالفونه وأصبحت لديه القدرة على تجنيد عشرات الآلاف لحروبه مع الرّومان.

وكان النّبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حريصاً على تزويد قواده بتعليمات عسكرية مركزة ومحددة، وتحفظ لنا المصادر تفاصيل التّوجيهات العسكرية لبعث أسامة إلى (يبنا) حيث أمره بالإغارة عليهم صباحاً وهو على خيله لتكون غارة سريعة، وأوصاه بالسّرعة وقلة اللُّبث في الجهة المستهدفة بهذه الغارة، وأن يفاجئهم بتحريق زروعهم ومواقعهم لإثارة الذّعر فيهم، وأمره أن يأخذ معه الأدلاء ويقدّم العيون والطّلائع بين يديه لاستطلاع المنطقة وتأمين البعث من المفاجآت في أرض قريبة من التّجمعات الكبرى للعدو في السّاحل وإيلياء والرّملة[1]. وتروى هذه الوصايا لأبي بكر يوصي بها أسامة[2] فكأن أبا بكر يستعيد وصاية النّبي لجيشه الذي أنفذه.

---

(1) : انظر تفاصيل ذلك في الطبقات الكبرى2/146 المغازي3/1117 المنتظم 4/16.
(2) : تاريخ دمشق 2/54.

وواصل الخليفة الرّاشد أبو بكر الصّديق سياسة النّبي صلى الله عليه وسلم حيث أنفذ بعث أسامة، وأصر عليه جداً والتّزم بوصايا النّبي صلى الله عليه وسلم بحذافيرها إلى أسامة كما قلنا[1].

وقد كان لهذا الهجوم المباغت على يبنا أثر عظيم على الرّوم إذ إن (هرقل) جمع بطارقته وقواده في حمص بعدما بلغه ما جرى من غارة أسامة على يبنا فقال: (هذا الذي حذّرتكم..، قد صارت العرب تأتي من مسيرة شهر فتغير عليكم ثُمَّ تخرج من ساعتها ولم تَكْلَم)[2] وهذا ما دفع أخا هرقل أن يقترح على أخيه أن يعززوا قوتهم العسكرية في البلقاء بعد الاختراقات العسكرية الواسعة لبعوث المسلمين فجعل رابطةً في البلقاء بقيت هناك حتَّى قدمت الفتوح في خلافة أبي بكر وعمر[3].

وجرت الإعدادات لفتح الشّام مترافقة مع الإعدادات لفتح اليمن وتهامة والبحرين سنة 12 للهجرة [4] بينما كانت جيوش المسلمين تتوغل في العراق بقيادة خالد بن الوليد [5] ولما فرغ أبو بكر من أمر جزيرة العرب والتّمرد فيها نتيجة الرّدة في سنة 13 للهجرة بسط يمينه إلى العراق، ثُمَّ أراد أن يبعث إلى الشّام كما بعث إلى العراق، فشرع في جمع الأمراء من أماكن متفرقة من جزيرة

(1) : تاريخ الطبري460/2.
(2) : المغازي 1124/3 الطبقات الكبرى 147/2 تاريخ دمشق 59/2 .
(3) : المغازي 1124/3 الطبقات الكبرى 147/2 تاريخ دمشق 59/2 .
(4) : المعرفة والتّاريخ للفسوي 291/3 تاريخ دمشق 61/2.
(5) : الكامل 384/2.

العرب [1] وأعلن أبو بكر التّعبئة العامة لفتوح الشّام؛ وكان قبل ذلك قد جمع كبار أصحابه في المدينة وشاورهم في فتح الشّام فوافقوه الرّأي واقترحوا عليه هذه الخطط العسكرية الاستراتيجية فكان اقتراح عمر بن الخطاب: (سرِّب إليهم الخيلَ في إثر الخيل وابعث الرّجالَ بعد الرّجال، والجنودَ تتبعها الجنودُ، وأما عبد الرّحمن بن عوف فقد كان أكثر تفصيلاً وتقريراً لحيثيات المشروع الكبير: (الرّوم بنو الأصفر حدّ حديدٌ وركنٌ شديد، وما أرى أن تقتحم عليهم اقتحاماً لكن تبعث الخيل فتغير في قواصي أرضهم ثُمَّ ترجع إليك فإذا فعلوا لك مراراً أضروا بها وغنموا من أداني أرضهم ثُمَّ نبعث إلى أراضي أهل اليمن وأقاصي ربيعة ومضر ثُمَّ تجمعهم جميعاً إليك ثُمَّ إن شئت بعد ذلك غزوتَهم بنفسك وإن شئتَ أغزيتَهم) فوافقهما كبار الصّحابة والمهاجرون والأنصار وفيهم عثمان وعلي وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعيد بن زيد ... [2] ثُمَّ رغّب أبو بكر النّاسَ فكتب إلى أهل مكة والطّائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد، ويرغّبهم فيه وفي غنائم الرّوم فسارع النّاس إليه من بين محتسب وطامع[3].

فكان أوَّل ثلاثة عقد لهم خالدُ بن سعيد بن العاص وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص [4] وكان قدم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن، وكان صاحب أوَّل لواء عقده أبو بكر إلا أن عمر بن

(1) : فتوح الشّام 149.
(2) : تاريخ دمشق 2/63-64 غزوات ابن حبيش 144/1.
(3) : فتوح البلدان 149.
(4) : فتوح البلدان 149 تاريخ دمشق 2/65-67.

الخطاب رضي الله عنه ثناه عن ذلك بعدما رأى منه ما يسوؤه عندما جعل مفهوم الخلافة بالتّغلّب وقرَنها ببُعدٍ قبَلي، فعزله أبو بكر عن الشّام، وولاه أرض تيماء يبقى فيها مع مجموعة من المسلمين حتَّى يأتيه أمره [1] وكان الغرض من وجوده في تيماء أن يجند العرب من حوله وأن يكون بمثابة قاعدة إمداد، وألا يفارقَ تيماء إلا بأمره، فاجتمعت إليه جموع كثيرة إلا أن الرّوم لما بلغهم ذلك قرروا ضرب هذه القاعدة ففرضوا على حلفائهم من عرب بهراء ولخم وجذام وغسان وسليح وكلب أن يكونوا معهم في البعوث ضد المسلمين، فكتب خالد إلى أبي بكر بذلك فأمره بالتّقدم الحذِر بحيث لا يؤتَى من خلفه فواجه جيشاً رومياً كبيرا بقيادة (ماهان الأرمني) في مكان قرب إيلياء (القدس)لم تحدده لنا المصادر بدقة، فطلب خالد بن سعيد المدد، فأرسل إليه أبو بكر أوَّل من جاءه من مستنفري اليمن وفيهم ذو الكلاع الحميري، وأرسل أيضاً عكرمة بن أبي جهل مع جماعة ممن كان معه في حروب الرّدة[2]. وكان أن انتصر المسلمون وتفرقت عرب الشّام عن هذا الجيش الرّوماني ودخل كثير منهم في الإسلام وهرب ماهان إلى دمشق .

عند ذلك اهتمّ أبو بكر لأمر الشّام وعناه أمره [3] فبعث إلى عمرو بن العاص ـ وكان على صدقات قضاعة مع الوليد بن عقبة ـ وكتب إليه يستنفره إلى الشّام (إني كنت قد رددتك عن العمل الذي ولاكه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرة وسماه لك أخرى، وقد

(1) : تاريخ الطبري 586/2 تاريخ دمشق 71/2 الكامل 402/2.
(2) : انظر تفصيل ذلك في تاريخ دمشق 71/2-72 غزوات ابن حبيش 176/1 الكامل 403/2.
(3) : تاريخ دمشق 72/2 الكامل 403/2.

أحببت أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك) فكتب إليه عمرو بن العاص: (إني سهم من سهام الإسلام وأنت عبد الله الرّامي بها، والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها فارم بي)[1].

وكتب إلى الوليد بن عقبة بمثل ما كتب لعمرو فرد عليه مثله، وأقبلا بعدما استخلفا في عملهما، وأمرهما أبو بكر أن يجمعا العرب ففعلا[2].

وقد حاول عمرو بن العاص أن يستصدر قراراً من أبي بكر بجعله قائداً عاماً لجيوش الشّام معتمداً على خبرته الواسعة في الحروب ومعرفته بدروب الشّام فكان رد أبي بكر: (إنك أحد أمرائنا فإن جمعتْكم حربٌ فأميركم أبو عبيدة)[3].

ثُمَّ حاول عمرو بن العاص ثانية مع وزير أبي بكر (عمر بن الخطاب) فكان رده كرد أبي بكر مع تذكيره بفضل أبي عبيدة وأمانته ومكانته، لكنه طيّب خاطره وأعطاه مَوعِدة – دون التّزام- فهمها عمرو بن العاص وقال له بعدها (لقد رضيتُ)، وكانت موعدة عمر له: (إن لم تكن أميراً هذه المرة فما أسرع أن تكون أميراً إن شاء الله)[4].

---

(1) : تاريخ دمشق 72/2 غزوات ابن حبيش 176/1 الكامل403/2.
(2) : تاريخ دمشق 172/2 الكامل 403/2 غزوات ابن حبيش 177/1.
(3) : تاريخ فتوح الشّام 48.
(4) : تاريخ فتوح الشّام48.

ثُمَّ عقد أبو بكر لواءَ عمرو بن العاص وجعل وجهته فلسطين، و عقد لواءَ يزيد بن أبي سفيان ومعه عدد من زعامات أهل مكة كسهيل بن عمرو، وجعل وجهته دمشق في ألف مقاتل،وعقد لواء أبي عبيدة بن الجراح وجعل له نيابة حمص، وعقد لواءً لربيعة بن عامر من بني عامر بن لؤي وأمره على ألف فارس ثُمَّ ألحقه بيزيد بن معاوية [1].

وأما الوليد بن عقبة فقد أرسله مدداً إلى خالد بن سعيد في تيماء ومعه عكرمة بن أبي جهل[2] إلا أن خالد ابن سعيد تجاوز الأوامر العسكرية بألا يبتعد عن قاعدته في تيماء وألا يتقدم ولا يحجم فتوغل بجيشه نحو ماهان في دمشق، وبادر الجيوشَ إلى لحوق دمشق وطلَبَ الحظوةَ ولم يصبر على أمر أبي بكر فتورّد بالمسلمين واستدرجه الرّومان [3] فكانت معركة مرج الصّفراء حيث قطعت جيوش الرّومان والعرب المتحالفين معهم الطّريق على خالد بن سعيد واستحوذ الرّوم على جيشه إلا من فرّ على الخيل وقتلوا ابن خالد بن سعيد وفرّ خالد - وقيل استشهد- وثبت عكرمةُ بن أبي جهل بعد أن تقهقر قريباً ليكون مُعيناً لمن نفر إليه[4].

وقبل ذلك كان شرحبيل بن حسنة قد وفد على أبي بكر من عند خالد بن الوليد من العراق، فأرسله أبو بكر إلى الشّام

---

(1) : فتوح الشّام13.
(2) : تاريخ الطبري589/2.
(3) : تاريخ الطبري602/2 تاريخ دمشق 83/2 الكامل 405/2 .
(4) : انظر أخبار هذه المعركة في تاريخ الطبري587/2 تاريخ دمشق72،83/2 غزوات ابن حبيش176/1 الكامل 405/2.

واستعمله على عمل الوليد بن عقبة الذي كان على عمل خالد بن سعيد، فرابط شرحبيل مكانه في الأردن، وأخذ جند خالد بن سعيد ممن كان بموضع يقال له (ذو المروة)[1].

ثُمَّ اجتمعت عند أبي بكر مجموعة متطوعين أخرى فأمّر عليهم معاوية بن أبي سفيان وأرسله وراء أخيه يزيد، وأخذ من بقي مع خالد بن سعيد [2]، ثُمَّ أذن أبو بكر لخالد بن سعيد بدخول المدينة بعد هزيمة جيشه إذ كان أبو بكر أمره أن يبقى في ذي المروة قرب المدينة حتَّى يأتيه أمره . وقال: كان عمرُ أعلمَ بخالد [3] في إشارة إلى رفض عمر لتولية خالد بن سعيد لأي عمل في أجناد الشّام.

ولكن شرحبيل بن حسنة لم يدم على قيادته إذ عزله الخليفة عمر بعد سنوات من ولايته وفتوحه في أرض فلسطين والأردن لمّا ورد الخليفة إلى الجابية، ووزّع أجناده على القواد الثلاثة عمرو ويزيد وأبي عبيدة، ولم يكن عزل الخليفة لشرحبيل عن خيانة أو عجز، وإنما كان تقدير الخليفة عسكرياً إذ قال له مبرراً : (لم تعجز ولم تخن وإنما تحرّجتُ أن أؤمرك وأنا أجد أقوى منك)، ثُمَّ عذره الخليفة أمام النّاس حتَّى لا تحدث فتنة[4].

---

(1) : الكامل 406/2.
(2) : البداية والنهاية5/7.
(3) : البداية والنهاية5/7 الكامل 405/2 .
(4) : المصنف للصنعاني 455/5.

أما أبو عبيدة ابن الجراح فقد استعفى أبا بكر - أوَّل الأمر - أن يعقد له وقد رُوي أنه عَقد له، وأنه أمر الأمراءَ أنهم إن اجتمعوا على قتال فأميرهم أبو عبيدة، وإلا فيزيد بن أبي سفيان، وهذه الرّواية قال عنها البلاذري إنها ليست ثابتة[1].

وكان أبو بكر يخرج مع كل جيش يعقد لواءه ويوصيه بتقوى الله وإخلاص النّية له وإحسان المعاملة لجنده واتخاذ الحيطة في المسير وتشديد الحراسة في الليل وعدم التّعدي على الآمنين والعابدين، كما أمرهم أن يسير كل واحد منهم على طريق غير طريق الآخر، وأنه إن كان قتالٌ فأميرهم الذي يكونون في عمله، وأن يصلي بالنّاس عمرو بن العاص إذا اجتمعوا – قبل تولية أبي عبيدة -، وإذا تفرقوا صلى كل أمير بأصحابه، وأمر الأمراء أن يعقدوا لكل قبيلة لواء يكون فيهم[2]. وترتبت خطة عسكرية تقضي بأنهم يجتمعون في جيش واحد إذا اجتمع لهم العدو، وإنه إن احتاج أحدهم إلى معاضدة صاحبه وإنجاده سارع إلى ذلك[3].

قيادة جيوش الشّام

لمّا وصل أمراء الجيش إلى الشّام توزّعوا على عدة محاور قريبة من بعضها:

- أبو عبيدة عامر بن الجراح نزل الجابية جنوب دمشق والواقعة قرب مدينة درعا الحالية.

(1) : فتوح البلدان 150-151 وانظر تفاصيل الاستعفاء في غزوات ابن حبيش 153/1.
(2) : فتوح البلدان 150 .
(3) : فتوح البلدان 159 .

- يزيد بن أبي سفيان نزل البلقاء (وسط الأردن وجنوبها حالياً).
- شرحبيل بن حسنة نزل الأردن (شمال الأردن وفلسطين الآن) وقيل بُصْرى جنوبي سوريا حالياً.
- عمرو بن العاص ونزل وادي (العربة) جنوبي البحر الميت بين الأردن وفلسطين.

وكان أمير الجيوش عند الاجتماع - أوَّل خلافة أبي بكر وقبل وصول أبي عبيدة- عمرو بن العاص، حتَّى قدم خالد بن الوليد من العراق فكان أميرهم في كل حرب[1]، ثُمَّ ولي أبو عبيدة أمر الشّام كله، وأمره الأمراء في الحرب والسّلم من قِبل الخليفة عمر [2] وذلك لما استقر أمر الجيوش لاسيما بعد انتصار اليرموك، إلا أن أبا بكر اعتمد طريقة مرنة في تسليم القيادة تبعاً للبقعة الجغرافية التي ينزل فيها أي قائد وكانت القاعدة: (من كانت الواقعة مما يلي عسكره فهو على أصحابه)[3].

وكان أبو بكر قد سمى لكل أمير كُورةً من الكُوَر يتجه إليها، فسمّى لأبي عبيدة كورة حمص، وسمى ليزيد ابن أبي سفيان دمشق، ولشرحبيل بن حسنة الأردن، ولعمرو بن العاص وعلقمة بن مجزّز المدلجي فلسطين ومصر [4] إلا أن هذه المهمة لم تكن لتبدأ قبل القضاء على أكبر الحشود الرّومانية كما سيأتي.

---

(1) : تاريخ فتوح الشّام68.
(2) : فتوح البلدان 159 تاريخ دمشق2/99-100.
(3) : فتوح البلدان 150 تاريخ دمشق2/82.
(4) : تاريخ الطبري (خبر اليرموك)2/591 تاريخ دمشق2/159،74،68 تاريخ خليفة بن خياط1/157،103.

وكانت الأمداد التي تأتي من أبي بكر تتجه صوب القائد الذي تحبه القبيلة أو الجماعات التي تشكّل المددَ وترتضيه قائدا لها، لضمان أكبر قدر من التّوافق لدى هذه الجيوش التي اجتمعت من أخلاط القبائل التي اجتمعت من أنحاء الجزيرة، ولم يسبق أن اتحدت على راية واحدة، وكان شعار أبي بكر في ذلك(يصير كل قوم مع من أحبوا)[1] وكانت الأمداد تكون من قبيلة واحدة أو أكثر.

وكان أبو بكر قد أمر خالد بن الوليد الذي كان يشارك في قيادة فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص أن يذهب بمدد إلى الشّام ويستخلف المثنى بن حارثة الشّيباني فقطع طريقاً طويلة ليصل إلى اليرموك بعد ذلك[2].

ولاشك أن هذه الجيوش بهذا التّوزيع الجغرافي أقلقت الرّومان مما جعل هرقل يفكر في مصالحة المسلمين على نصف بلاد الشّام إلا أن رأيه لدى قيادات الرّوم المتشنجين والمذهولين من سرعة إيقاع حركة الجيوش الإسلامية كان مرفوضاً حيث أصروا على المواجهة[3]. واشتد إصرار الرّوم على المواجهة بعد وصول وفد من (إيلياء) و(قيسارية) أكبر مدينتين في فلسطين إلى هرقل في إنطاكية يؤكدون ولاءهم للروم وإقامتهم على

(1) : تاريخ الطبري 601/2.
(2) : فتوح البلدان152.
(3) : الكامل 406/2.

طاعته وتمسكهم بأمره ويسألونه المدد بعد هزيمة الرّوم القاسية في (فحل بيسان)[1].

فتوجه هرقل من إيلياء (القدس) إلى حمص واتخذها مركز قيادته، وتركزت الخطة العسكرية الرّومانية على استغلال الكثرة العددية للجيوش الرّومانية وضرب جيوش المسلمين متفرقة وإضعافها قبل اجتماعها فأرسل هؤلاء القادة إلى أجناد الشّام حسب المصادر العربية:

- أرسل شقيقه (تذارق) في تسعين ألفاً إلى عمرو بن العاص ونزل أعلى فلسطين.
- أرسل جرجة بن توذر إلى يزيد بن أبي سفيان فعسكر بإزائه.
- أرسل الفيقار بن نسطوس في ستين ألفاً إلى أبي عبيدة.
- أرسل الدّراقص إلى شرحبيل بن حسنة واستقبله بجيشه.

كما وصل دعم كبير من (جرجير) صاحب أرمينية في ثلاثين ألفاً ثُمَّ جاءته من الجزيرة الفراتية أمداد كثيرة تجذبهم دعوة بطارقة (إيلياء) لنجدتهم بعد هزيمة الرّوم في موقعة (فحل بيسان) و(أجنادين)، فجعل عليهم قائده (ماهان) ومعه قرابة ثلاثُ مائةِ ألف مقاتل وزودهم بجوائز عظيمة ومؤن كبيرة[2].

ويذكر الطّبري أن جميع فرق المسلمين يبلغ تعدادها واحداً وعشرين ألفاً، إضافة إلى عكرمة بن أبي جهل الذي كان مرابطاً

(1) : تاريخ فتوح الشّام 151- 152.
(2) : تاريخ فتوح الشّام155.

قريباً منهم في ستة آلاف[1]. ثُمَّ لما جاء جيش خالد من العراق وصل العدد إلى قرابة ستة وثلاثين ألفاً [2] أما الرّوم فكانوا ما بين 240000-350000 مقاتل وفارس، وإن كُنَّا نتحفّظ على دقة هذه الأرقام، لكنها تشير على كل حال إلى ضخامة الحشود الرّومانية.

ويذكر البلاذري أن العَقْدَ لكل أمير في بدء الأمر كان على ثلاثة آلاف رجل لكن الأمداد تتابعت عليهم حتَّى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة ثُمَّ تتامّ جمعهم بعد ذلك على أربعة وعشرين ألفاً [3].

وفي رواية ثالثة قريبة نجد أن جملة الجيوش الإسلامية لم تكن تزيد عن ستة وأربعين ألفاً: 27000 من أجناد الشّام، 3000 ممن كانوا مع خالد بن سعيد، 10000 من أمداد أهل العراق، 6000 ثبتوا مع عكرمة عندما هزم خالد بن سعيد. [4]

وبات الوضع في غاية الخطورة بسبب هذه الحشود الضّخمة التي تفوق الإمكانات المادية لجيوش المسلمين، فكاتبوا أبا بكر وعمرو بن العاص فجاء رد عمرو الميدانيّ أولاً بأن تجتمع جيوش المسلمين باليرموك، ثُمَّ جاء كتاب من أبي بكر بمثل رأي عمرو (اجتمعوا باليرموك فتكونوا عسكرا واحداً،ولن يؤتى مثلكم من قلة، الله ناصر من نصره وخاذل من كفره، وإنما يؤتى العشرة آلاف

(1) : تاريخ الطبري590/2 تاريخ دمشق159/2.
(2) : الكامل 410/2.
(3) : فتوح البلدان 150.
(4) : تاريخ دمشق159/2.

والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذّنوب، فاحترسوا الذّنوب ، وليصل كل رجل منكم بأصحابه)[1]

وظهر أن استراتيجية المعركة اعتمدت على تركيز قوة الجيش الإسلامي بتجميع وحداته واستباق اختيار الموقع الجغرافي للمعركة والاستفادة من القوة المعنوية للجيش الإسلامي، كما انسحب المسلمون من مواقعهم التي افتتحوها في حمص ودمشق لتركيز هذه القوة[2].

وتشير المصادر العربية إلى أن هرقل أرسل جيشاً كبيرا فنزل في وادي اليرموك في منطقة واسعة ليس لها سوى مهرب واحد ليكسب عدة أمور: منها اتساع البقعة الجغرافية للمعركة ليتمكن جيشه الضّخم من المناورة فيه وأن يكون محصوراً بحيث لا يمكن للوحدات العسكرية الطّرفية أن تهرب فتظل تقاتل ضمن قيادة مركزية، وهذه السّياسة تشير إلى أن هذا المنطق العسكري يحكمه الخوف من فرار مجموعات عسكرية ولاسيما العربية منها إذا اشتدت المواجهة بدليل توجيه هرقل لجنده أن يختاروا موضعا ضيق المهرب[3].

ولذلك وجدنا أن قرابة الثّمانين ألف مقاتل روماني كانوا مقيدين، وأربعين ألفاً مسلسلين، وأربعين ألفاً مربوطين بالعمائم [4]

(1) : تاريخ الطبري2/590 المنتظم 4/117.
(2) : تاريخ فتوح الشّام 155.
(3) : تاريخ دمشق2/141-166 المنتظم 4/117.
(4) : تاريخ الطبري2/ 591 الكامل 2/ 410 المنتظم 4/118.

لكن عمرو بن العاص استبشر بهذا الخطأ الاستراتيجي الرّوماني وقال: أبشروا حُصرت الرّوم، وقلما حاصر قوم قوماً إلا ظفروا بهم. [1]

وجعل هرقل على قيادة الجيش (التّذارق) وعلى المقدمة (جرجة) وعلى مجنبتيه (الميمنة والميسرة) (باهان والدّراقص) وجعل على قيادة حلفائه العرب (الفيقار). [2]

وأثناء ذلك كان خالد بن الوليد مع جيشه يتحرك شمال منطقة المعارك هذه ويفاجئ مؤخرة الرّوم يغير عليهم جنوبي دمشق بل إنه فتح (بصرى) من أرض الشّام وكان أوّل فتح لمدينة شامية، وأرسل سرية إلى غوطة دمشق قبل نزوله بصرى فأسرت وقتلت، كما أنه أغار على (تدمر) وأخضعهم وكتب لهم كتاب أمان، ثُمَّ أغار على الغساسنة في مرج راهط فقتل وسبى منهم، واقترب بجيشه من أسوار دمشق مُظهراً تهديدها فأفزعهم ذلك وأربكهم إذ كانت ضربة مؤلمة لمؤخرة الجيش الرّوماني الذي يتوافد محتشداً إلى اليرموك جنوباً،ثُمَّ اتجه إلى اليرموك لينضم إلى جيش المسلمين الذي يحارب الجيش الرّوماني لثلاثة أشهر هي شهور صفر وربيع الأول وربيع الثاني من عام 13 هجرية.[3]

ثُمَّ اجتمع قرار قادة الجيوش الإسلامية على تولية القائد العسكري المحنك خالد بن الوليد مسؤولية القيادة المركزية للجيش الإسلامي [4] وقبل نهاية المعركة جاء الخبر بموت الخليفة أبي بكر

---

(1) : المنتظم 117/4.
(2) : الطبري تاريخ دمشق141/2-166 الكامل المنتظم 119/4.
(3) : تاريخ الطبري 605/2 فتوح البلدان 154 الكامل 409/2.
(4) : تاريخ دمشق 99/2-100 المنتظم 118/4.

وتولية عمر بن الخطاب مكانه وبمعيته قرار بتولية أبي عبيدة بن الجراح على قيادة جيش اليرموك[1]. وكانت معركة عجيبة تجلت فيها المهارات العسكرية الإسلامية وتكتيكات الحروب مما أسفر عن فوز ساحق للجيش الإسلامي أسقط هيبة الجيش الإمبراطوري الرّوماني، وفتح الطّريق أمام الجيش الإسلامي للتوغل في بلاد الشّام وفتح مدنها الكبيرة، بينما تركزت أقوى التّجمعات الرّومانية في فلسطين ولاسيما حول (إيلياء) وساحل فلسطين.

وما كادت تتكامل فتوح فلسطين حتَّى أصيبت بنكبة كبيرة في طاعون عمواس عام 18 هـ حيث قتل الطّاعون معظم قادة الفتح الكبار (أبي عبيدة ابن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة)، وآلاف الجنود في جيوشهم، وقد كان يمكن لذلك أن يضرب حركة الفتح إذا استغل الرّومان وحلفاؤهم هذه النّكبة، لاسيما أن مركز الخلافة أيضاً في المدينة أصابته جائحة اقتصادية خانقة في العام ذاته والمعروف تاريخياً باسم عام الرّمادة، لكن بدا واضحاً أن الرّومان قد تهاوت قواهم تماماً في فلسطين، ولم يعد لهم موضع في ذاك الحين إلا جهة البحر ناحية قيسارية.

(1) : الكامل 412/2 المنتظم4/ 119.

معارك المسلمين في فلسطين في خلافة أبي بكر

أوضحنا سابقاً أن أوّل البعوث العسكرية تجاه الشّام في عهد أبي بكر كانت إلى يبنا والدّاروم من أرض فلسطين، وقد كان أبو بكر ميالاً إلى ضرورة إعطاء الأولوية للشام في الفتوحات على حساب العراق، وبدا ذلك واضحاً عندما أرسل إلى خالد بن الوليد بعد أن فتح الله على المسلمين القادسية وجلولاء من أرض العراق فأمره أن يمدّ جيوش المسلمين بالشّام وطلب منه العجلة في ذلك وقال: فوالله لقرية من قرى الشّام يفتحها الله على المسلمين أحب إليّ من رستاق عظيم من رساتيق العراق)[1].

ويبوّب ابن عساكر في تاريخ دمشق [2] باباً عنونه بـ(ذكر اهتمام أبي بكر بفتح الشّام وحرصه عليه) وساق جملةً من المرويات تبيّن اهتمام أبي بكر بفتوح الشّام، وأن هذا الأمر كان يشغله ويفكر فيه، وباح برغبته تلك إلى شرحبيل بن حسنة، وحكى شرحبيل لأبي بكر رؤيا استبشر بها أبو بكر، ثُمَّ شاور كبارَ الصّحابة في هذا الأمر، ورأى منهم العزيمة على ذلك، واستنفر لفتوح الشّام كافَّة المسلمين لاسيما في اليمن.

ويروي الأزدي أن عسكر أبي عبيدة ابن الجراح ظل ينتظر كل يوم الإذن بالخروج لغزو الشّام، وذلك بعد أن فُصِلَ عسكرُ يزيد بن

---

(1) : تاريخ أبي زرعة 172/1 تاريخ دمشق 114/2.
(2) : تاريخ دمشق 64/2 – 68.

أبي سفيان وعسكرُ شرحبيل بن حسنة،بينما كان أبو بكر (ينتظر قدوم العرب عليه يريد أن يشحن أرض الشّام من المسلمين، ويريد إن زحفت الرّوم أن يكونوا طُرّاً مجتمعين)[1].

واجتمع للروم جمع بمنطقة(العربة) جنوبي البحر الميت فأرسل لهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمامة الباهلي فهزمهم فكان أوَّل قتال بالشّام بعد سرية أسامة بن زيد[2] وكان ستة من قواد الرّوم نزلوا (العربة) في ثلاثة آلاف مقاتل، وقتل أبو أمامة أحدَ قادتهم ثُمَّ تبعهم حتَّى منطقة(الدّبية) - جنوب شرقي رفح في قطاع غزة الآن- فهزمهم وغنم منهم [3] وكانت هذه أوَّل وقائع المسلمين ولم يقاتلوا قبل ذلك مذ فصلوا من الحجاز [4] ثُمَّ أتى أبو أمامة منطقة في وسط قطاع غزة تعرف باسم داثن فهزمهم أبو أمامة وقتل قائدا كبيرا منهم أيضاً[5].

ويروي الأزدي أن الصّحابي سعيد بن عامر بن حِذْيَم لحق يزيد بن أبي سفيان في خمسين رجلاً وشارك في معركتي العربة وداثن[6].

يقول فيليب حتي وزميلاه: إن موقعة العربة كانت في منخفض عظيم جنوب البحر الميت انتصر فيه المسلمون على (سرجيوس) بطريق فلسطين الذي كان مقره قيسارية فارتدت الرّوم

---

(1) : تاريخ فتوح الشّام 15.
(2) : فتوح البلدان 151 الكامل 405/2 تاريخ الطبري601/2 غزوات ابن حبيش174/1.
(3) : تاريخ فتوح الشّام 52 فتوح البلدان 151 غزوات ابن حبيش174/1.
(4) : فتوح البلدان 151.
(5) : تاريخ فتوح الشّام 52 فتوح البلدان 151 الكامل 405/2 تاريخ الطبري601/2 .
(6) : تاريخ فتوح الشّام 38.

نحو غزة بقيادة سرجيوس فاتبعهم المسلمون حتَّى داثن وكادوا يفنونهم، مما جعل هرقل يعود بسرعة إلى المنطقة من مسقط رأسه(الرّها) لتنظيم خطة الدّفاع وجهز جيشاً بقيادة أخيه ثيودورس[1].

وقد ذكرنا آنفاً كيف لاحق خالدُ بن سعيد وهو بتيماء (ماهان) أحد قادة الرّوم حتَّى كسره قرب (إيلياء).

ويروي البلاذري بإسناده أن أوَّل وقعة واقعها المسلمون الرّوم في خلافة أبي بكر الصّديق أرض فلسطين وعلى النّاس عمرو بن العاص ثُمَّ إن عمرو بن العاص فتح غزة[2]. ولكن البلاذري لم يكشف لنا موضع هذه المعركة [3].

ويشير ابن عساكر بإسناده أن قيادة الجيوش الإسلامية اتجهوا جميعاً نحو (ثادن) أو (داثن) أو (الدّاثنة) من قرى غزة فحاوروا بطريقها (قائدها العسكري) الذي عرض عليهم مساعدات اقتصادية مقابل رجوعهم، إلا أن عمرو بن العاص أغضبته هذه الإهانة ورد عليه بجفاء واقتتل الفريقان[4].

ولا ندري إن كانت هذه المعركة هي المعركة التي خاضها أبو أمامة هناك بسبب عدم تقييد تاريخ محدد لهذه الحادثة. إلا أن ياقوتاً الحموي ينقل عن أحمد بن جابر وهو البلاذري أن الألوية التي

---

(1) : تاريخ العرب 204.
(2) : فتوح البلدان 188.
(3) : فتوح البلدان188،151.
(4) : تاريخ دمشق82/2.

عقدها أبو بكر ليزيد وشرحبيل وعمرو سارت إلى الشّام فكانت أوَّل وقعة بين المسلمين وعدوهم في قرية (داثن) وذلك في سنة 12[1] .

ويظهر لي أن الدّقة ضعيفة في هذه المرويات وأن ذلك من باب عدم الخوض في تفاصيل الواقعة التي كانت من إنجاز قائد ميداني والاكتفاء بنسبتها إلى عموم الجيش وقيادته المركزية، ويؤيد ذلك الرّواية الأخرى للبلاذري أن أوَّل حرب كانت في العربة ولم يقاتلوا قبل ذلك مذ فصلوا من الحجاز.

إلا أنني وجدتُ بعد ذلك رواية للواقدي عن معركة قادها عمرو بن العاص في فلسطين وهو في طريقه إلى (إيلياء) دون أن يحدد لنا موضع هذه المعركة بالضّبط أو ميقاتها وقد تكون هذه المعركة هي مقصود البلاذري:

(قال الواقدي: لقد بلغني أن عمرو بن العاص توجه إلى إيليا، حتَّى وصل إلى أرض فلسطين هو ومن معه قال: فلما نزل المسلمون بفلسطين جمع عمرو المسلمين المهاجرين والأنصار وشاورهم في أمرهم فبينما هم في المشورة إذ أقبل عليهم عدي بن عامر، وكان من خيار المسلمين، وكان كثيراً ما يتوجه إلى بلاد الشّام، وداس أرضهم وعرف مساكنها ومسالكها. فلما أشرف على المؤمنين داروا به وأوقفوه بين يدي عمرو بن العاص. فقال عمرو بن العاص: ما الذي وراءك يا ابن عامر. قال: ورائي المتنصِّرة وجنودهم مثل النّمل. فقال له عمرو: يا هذا لقد ملأت قلوب

(1) : معجم البلدان (داثن) 417/2 .

المسلمين رعباً وإنا نستعين بالله عليهم. فقال له: فكم حزرت القوم؟ فقال: أيها الأمير إني قد علوت على شرف من الجبال عال، فرأيت من الصّلبان والرّماح والأعلام ما قد ملأ الأجم، وهو أعظم جبل بأرض فلسطين وهم زيادة عن مائة ألف فارس، وهذا ما عندي من الخبر قال: فلما سمع عمرو ذلك قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثُمَّ أقبل على من حضر من كبار المسلمين. وقال: أيها النّاس أنا وإياكم في هذا الأمر بالسّواء فاستعينوا بالله على الأعداء، وقاتلوا عن دينكم وشرعكم فمن قتل كان شهيداً، ومن عاش كان سعيداً، فماذا أنتم قائلون. قال: فتكلم كل رجل بما حضر عنده من الرّأي. فقالت طائفة منهم: أيها الأمير ارجع بنا إلى البرية حتَّى نكون في بطن البيداء فإنهم لا يقدرون على فراق القرى والحصون. فإذا جاءهم الخبر إننا توسطنا البرية يتفرق جمعهم وبعد ذلك نعطف عليهم وهم على غفلة فنهزمهم إن شاء الله تعالى. فقال سهيل بن عمرو: إن هذه مشورة رجل عاجز. فقال رجل من المهاجرين: لقد كُنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نهزم الجمع الكثير بالجمع القليل، وقد وعدكم الله النّصر وما وعد الصّابرين إلا خيراً، وقد قال الله تعالى: ↓

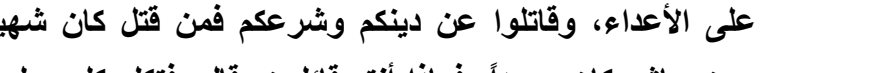

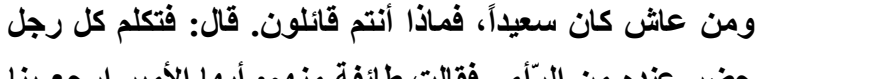

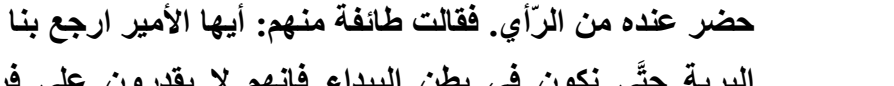

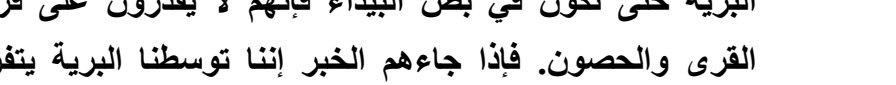

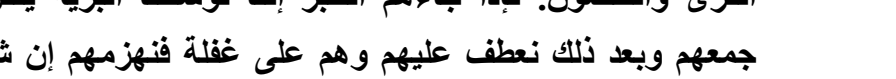

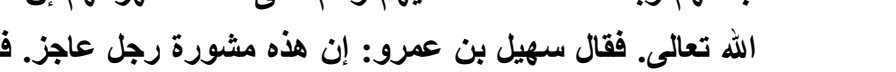

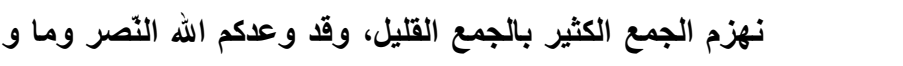

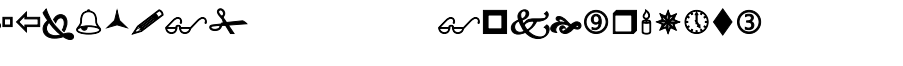

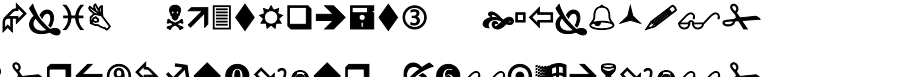

التّوبة: 123، قال سهيل بن

عمرو: أما أنا فلا رجعت عن قتال الكفرة ولا رعدت سيفي عنهم، فمن شاء فلينهض، ومن شاء فليرجع، ومن نكص على عقبيه فأنا وراءه بالمرصاد، قال: فلما سمع المسلمون أن وافقه على ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قالوا أحسنت يا أبا الفاروق، قال: ثُمَّ إن عمرو بن العاص عقد راية وأعطاها عبد الله بن عمر بن الخطاب وضم إليه ألف فارس فيهم رجال من الطّائف ومن ثقيف وأمرهم بالمسير فسار عبد الله، وجعل يجد السّير بقية يومه إلى الصّباح، وإذا بغبرة القوم قد لاحت. فقال عبد الله بن عمر: هذه غبرة عسكر وأظنها طليعة القوم، ثُمَّ وقف ووقف أمامه أصحابه. فقال قوم من البادية: اتركنا نرى ما هذه الغبرة. فقال: لا تتفرقوا من بعضكم حتَّى نرى ما هي. فوقف النّاس، وإذا بالغبرة قد قربت وانكشفت عن عشرة آلاف من الرّوم وقد بعث معهم روبيس بطريقاً من أصحابه، وكانوا قد ساروا يكشفون خبر المسلمين. فلما نظرهم عبد الله بن عمر قال لأصحابه: لا تمهلوهم لأنهم لا بد لها منكم، والله ينصركم عليهم. واعلموا أن الجنة تحت ظلال السّيوف، قال: فأعلن القوم بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله. فلما جهروا بها أجابهم الشّجر والمدر والدّواب والحجر، وكان أوَّل من حمل عكرمة بن أبي جهل وتبعه سهيل بن عمرو والضّحاك أيضاً بالجملة وصاح في رجاله وحمل المهاجرون، والأنصار معهم والتّقى الجمعان، وعمل السّيف في الفريقين. قال عبد الله بن عمر: وبينما أنا في الوقعة إذ نظرت من القوم بطريقاً عظيم الخلقة وهو كالحائر البليد، وهو يركض يميناً وشمالاً، فقلت: إن يكن لهذا

الجيش عين فهذا عين الجيش وصاحب الطّلائع وهو مرعوب من الحرب. فلما حملت عليه ومددت قناتي إليه، نفر فرسه من الرّمح فقربت منه وأوهمته أني أريد الانهزام، ثُمَّ عطفت عليه وطعنته، فوالله لقد خيل لي أني ضربت بسيفي حجراً، وسمعت طنين السّيف حتَّى حسبت أن سيفي انفصل، وإذا هو صريع ثُمَّ عطفت عليه وأخذت لامته. فلما رأى المشركون صاحبهم مجندلاً داخلهم الفزع والهلع وصدمهم المسلمون في الضّرب والقتال فلله در الضّحاك والحارث بن هشام، لقد قاتلاً قتالاً شديداً ما عليه من مزيد، فما كان غير قليل حتَّى انهزم الكفار من بين أيديهم هاربين. قال: فرجع المسلمون واجتمع بعضهم على بعض وجمعوا الغنائم والأموال. وقال بعضهم لبعض: ما فعل الله بعبد الله بن عمر، قال قائل منهم: الله خبير بحسن زهده وعبادته. وقال آخرون: لقد أصبنا بابن عمر فما كان يساوي هذا الفتح شعرة من رأسه. قال عبد الله بن عمر: وأنا مع ذلك أسمع كلامهم خلف الرّاية. فأعلنت بالتّهليل والتّكبير والصّلاة على البشير النّذير، وهززت الرّاية. فلما نظر المسلمون الرّاية سارعوا إلي وقالوا: أين كنت. فقلت: اشتغلت بقتال صاحبهم فقالوا: أفلح والله وجهك فهذا والله فتح قد رزقنا الله إياه ببركتك. قال عبد الله: وبوجوهكم، ثُمَّ حازوا الأموال والغنائم والخيل وستمائة أسير وقتل من المسلمين سبعة نفر فواروهم وصلى عليهم ابن عمر وانعطف الجيش إلى عمرو بن العاص وحدثوه بما جرى ففرح وحمد الله تعالى، ثُمَّ دعا بالأسرى واستنطق منهم بالعربية فما كان فيهم غير ثلاثة نفر من أنباط الشّام فسألهم عن

خبرهم وخبر أصحابهم فقالوا: يا معشر العرب إن هذا روبيس قد أقبل في مائة ألف فارس، وقد أمره الملك أن لا يدع أحداً من العرب يصل إيليا.. وإنه بعث بهذا البطريق طليعة، وقد قتل وكأنكم به[1].

وقد تكون هذه المعركة إحدى المعارك التي سبقت معركة أجنادين إذ ثمة تشابهات في بعض التّفاصيل تتكشّف بالمقارنة بين هذه الرّواية ومرويات معركة أجنادين التي سنوردها قريباً، كما يمكن أن تكون واحدة من المعارك التي خاضها المسلمون أثناء استعدادهم لمحاصرة إيلياء كما سنرى في مرويات فتح إيلياء ولاسيما حصار عمرو بن العاص لها قبل الفتح العمري.

وينقل ابن حبيش بإسناده عن أبي أمامة الباهلي رواية تجمع بعض الاضطراب في المرويات الذي تسببت به النّقول النّاقصة والاستطرادات:(أوّل وقعة في الشّام يوم العربة ثُمَّ يوم الدّاثنة: خرج ستة قواد من الرّوم مع كل قائد خمسمائة فكانوا ثلاثة آلاف فأقبلوا حتَّى انتهوا إلى العربة فبعث يزيد بن أبي سفيان إلى أبي عبيدة فبعثني (أبو أمامة) إليه في خمسمائة فلما أتيته بعث معي رجلاً في خمسمائة !!؟ وأقبل في آثارنا في الصّف فهزمناهم وقتلنا قائداً من قوادهم، ثُمَّ مضوا وأتبعناهم فجمعوا لنا بالدّاثنة فسرنا إليهم فقدّمني يزيد وصاحبي في عدتي فهزمناهم)[2] .

(1) : فتوح الشّام21-25.
(2) : غزوات ابن حبيش 174/1.

ثُـمَّ كانـت وقعـة أجنـادين ثُـمَّ فحـل بيسـان كمـا يـرى معظـم المـؤرخين ثُـمَّ معركـة اليرمـوك التـي بـدأت فـي آخـر حيـاة أبـي بكـر الصّديق ومـات عنـها قبل الفتح بعشرة أيـام وتواصلت وانتهت فـي عهد عمر بن الخطاب.

الفصل الثاني

فتوحات الأراضي الفلسطينية

فتوحات الأراضي الفلسطينية

لما فرغ المسلمون من اليرموك أجرى عمر بن الخطاب تغييرات طفيفة في قيادة الجيش فأقر الأمر على ما استعملهم عليه أبو بكر إلا خالد بن الوليد حيث جعله تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح ،وأمر عمرو بن العاص بمعونة الجيوش (قوة احتياط) ثُمَّ يتوج عمرو بعد ذلك إلى فلسطين ليتولى قيادة الحرب فيها [1] وجعل أمر قيادة الجيوش كلها بيد أبي عبيدة فكان أوَّل من سمي أمير الأمراء[2].

وكانت الخطة بعد اليرموك تقضي بالتّوجه إلى دمشق وفتحها، أو إعادة فتحها على مذهب بعض المؤرخين الذين ذكروا أن أبا عبيدة انسحب بجيشه من حمص ودمشق ليواجه الرّومان في اليرموك، إلا أن المعلومات الاستخبارية وردت إلى أبي عبيدة بأن ثمة أمداداً رومانية ضخمة تأتي إلى دمشق من حمص، وأن جموعاً رومانية كبيرة تجتمع في (فِحْل) من أرض فلسطين فكتب إلى الخليفة بن عمر بن الخطاب يستشيره فكتب إليه أن يبدأ بدمشق لأنها بيت مملكتهم وحصنهم الكبير، وأن يشاغل الرّوم في (فِحل) ببعوث عسكرية تستنزفهم، ثُمَّ أمره عمر بن الخطاب أن يظل عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة في فلسطين والأردن[3] ثُمَّ توجه عمرو وشرحبيل بعد مشاركتهم في فتح دمشق إلى فلسطين ففتحوا

(1) : تاريخ دمشق 128/2 المنتظم 143/4.
(2) : البداية والنهاية 16/7.
(3) : المنتظم 143/4 البداية والنهاية19/7.

(بيسان) -التي تقع غربي غور فلسطين وتقع على بعد 127 كلم من القدس شمالاً وتقع شرقي جنين قرب الحدود الأردنية الآن بحوالي 33 كلم - وكان ذلك في جمادى الأولى من عام 13 هجرية في خلافة أبي بكر على قولٍ أو في عام 15 هجرية ومنشأ الخلاف كان في تحديد تاريخ معركة اليرموك هل كانت عام 13 أم عام 15 للهجرة وفي ذلك خلاف ليس هذا موضعه[1].

إلا أن ابن كثير الدّمشقي يذكر أن كثيراً من علماء السّير يجعلون معركة فحل وأجنادين قبل فتح دمشق[2].

وكان من جملة الإعدادات لهذه المعارك اصطناع العيون والجواسيس من أهل المنطقة، وكان من جملة مَن تم اصطناعهم لذلك يهود السّامرة وهم جماعات عديدة كانت تسكن في الأردن وفلسطين حيث صالحهم أبو عبيدة عامر بن الجراح على جزية رؤوسهم فقط وأطعمهم أرضهم أي أبقاهم فيها دون فرض الخراج عليهم. يقول البلاذري: وكانوا عيوناً وأدلاء للمسلمين[3] ولم يحدد لنا البلاذري أي سامرةٍ صالحهم أبو عبيدة وإن كنتُ أرجِّح أنه صالح السّامرة الموجودين القريبين من طبرية والمتمركزين في نابلس حيث منطقتهم المقدسة.

(1) : المنتظم 144/4 البداية والنهاية 5/7 الكامل 417/2.
(2) : البداية والنهاية 25/7 .
(3) : فتوح البلدان 215.

وقد كان سبب اختيار السّامرة لهذا الأمر واضحاً فقد كانوا أقلية دينية مضطهدة من اليهود التّلموديين ومن الرّومان النّصارى على حد سواء، ووجدوا في الفاتحين الجدد الخلاص من بؤسهم وسوء أوضاعهم.

على أن السّامرة لم يكونوا داخلين جميعاً في هذا الصّلح حيث كان يشارك في حماية قيسارية من الهجمات الإسلامية قرابة الثلاثين ألفاً من السّامرة، وقرابة المائتي ألف من اليهود عدا عن سبعمائة ألف مرتزق[1] لكن فتح قيسارية الأخير على يد معاوية كان نتيجة خيانة يهودية من رجل يهودي يقال له (يوسف) الذي اشترط الأمان لأهله وماله فسقطت قيسارية المنيعة بيد المسلمين[2].

موقعة أجنادين

كانت هذه المعركة في جمادى الأولى من عام 13 هجرية في خلافة أبي بكر وكانت موقعة (فحل بيسان) بعدها بعدة أشهر في ذي القعدة أو في رجب من عام 13 هجرية في خلافة عمر[3] وهناك رواية أخرى مشهورة أن ذلك كان في عام 15 للهجرة. وعلى كل حال فإن أجنادين كانت قبل فحل بيسان[4].

تقع أجنادين الآن في ظاهر قرية عجور الشّرقي في منطقة الخليل ضمن أراضي خرْبتي (جنابة الفُوقا) (جنابة التِحْتا) كما تذكر

(1) :فتوح البلدان 192.
(2) :تاريخ دمشق 102/2،99 .
(3) :تاريخ دمشق 102/2،99 .
(4) : تاريخ دمشق 102/2 المنتظم 142/4.

الموسوعة الفلسطينية، ويعطي الباحث صلاح عبد ربه تفصيلاً أدق لموقع المعركة ويذكر أن (الخربتين) الفوقا والتّحتا تابعتان لقرية زكريا التي أقيم عليها الآن مستوطنة (زخاريا) شمال غرب مدينة الخليل، ويقول إن بالقرب من (جنابا الفوقا) يقع موقع (الصّالحي) الذي دفن فيه شهداء أجنادين[1].

كان الموقف العسكري محيّراً فشرحبيل بن حسنة يطلب من أبي عبيدة نجدة كبيرة لمواجهة هجوم كبير محتمل على بصرى الشّام، وعمرو بن العاص يبلغ القيادة بأن الرّوم يحتشدون بقوة في أجنادين فأشار خالد بن الوليد على أبي عبيدة أن يجتمع المسلمون لضرب قوة الرّوم في أجنادين وألا يواجه شرحبيل الجيش القادم إليه وأن يتجه جميع القادة إلى أجنادين، وهو ما أمر به أبو عبيدة[2].

لكن أبا عبيدة فوجئ بهجوم على جيشه شنه أهل دمشق، وكان أبو عبيدة قد تأخر عن مقدمة الجيش الذي انطلق به خالد بن الوليد فاضطر أبو عبيدة لقتالهم ثُمَّ عاد إليه خالد بن الوليد لنصرته فانتصروا عليهم ثُمَّ اتجه أبو عبيدة وخالد إلى الجابية لملاقاة الخليفة عمر الذي كان هناك وبقي معه أبو عبيدة، ومن ثُمَّ اتجه خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان إلى أجنادين[3].

(1) : المركز الفلسطيني للإعلام Palestine-info.info.
(2) : غزوات ابن حبيش 197/1 .
(3) : تاريخ فتوح الشّام 88 غزوات ابن حبيش 197/1.

كان أمير المعركة عمرو بن العاص لأن هذه المنطقة كانت تقع ضمن نفوذ قيادة منطقته العسكرية، وانضم إليه كما أسلفنا قيادات معظم الأجناد خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة، مما يعني أنها موقعة كبيرة تتطلب قيادة استثنائية كما حصل في اليرموك[1].

كان عمرو بن العاص يرابط قريباً من هذه المنطقة وتأتيه العيون بأخبار جموع الرّوم وحشودهم الضّخمة التي زادت عن المائة ألف، وكان قد قاتل طليعةً من طلائع الرّوم بالآلاف فهزمهم[2] وأخذ منهم أسرى من العرب وكشفوا له أن (روبيس) قائد الرّوم في المنطقة حشد لهم مائة ألف ومهمته ألا يدع المسلمين يصلون إلى إيليا [3] وكان لخيالة المسلمين بخيولهم العربية السّريعة دور كبير في حسم هذه المعركة، وفقد المسلمون قرابة المائة والثلاثين مقاتلاً [4] وأرسل عمرو بن العاص البعوث والطّلائع لاستكشاف المنطقة فأسر مجموعات من الأنباط ونصارى العرب تخلّفت عن اللحوق بحصون الرّوم، واستخبر منهم عن تحركات الرّومان وطرُق مؤونتهم وميرتهم وإمدادهم وأغار عليها[5].

كانت خطة عمر تقضي بفتح (إيلياء) (بيت المقدس) فأمر عمرَو بن العاص أن يسير إليها، فقدم عمرو من الأردن واتجه إلى

(1) : انظر : المعرفة والتّاريخ للفسوي 296/3.
(2) :فتوح الشّام21.
(3) :فتوح الشّام 22 .
(4) :فتوح الشّام 23 .
(5) : فتوح الشّام 25.

جنوبي إيلياء من جهة الرّملة ليتجنب الجبالَ وحشود الرّوم المتمركزة حول المدينة فسار عمرو ومعه شرحبيل بن حسنة على المقدمة في عشرين ألفاً وعلى ميمنة جيشه ابنه عبد الله بن عمرو وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكي الكناني، ثُمَّ انضم إليه يزيد بن أبي سفيان وخالد بن الوليد فلقوا الرّوم في حشد عظيم يقدر تعداده بثمانين ألفاً إلى مائة ألف ومعه مجموعة من نصارى العرب يقودهم جميعاً (الأرطبون) وكان معروفاً بحنكته ودهائه وخبرته العسكرية، كما حشد الأرطبون جيشاً عظيماً بإيلياء، وكتب عمرو إلى الخليفة عمر بالخبر فكان رد الخليفة (قد رمينا أرطبون الرّوم بأرطبون العرب فانظروا عمّ تنفرج) في إشارة إلى ضرورة استخدام الحيلة والتّكتيك لمواجهة هذا الحشد .

جرى هاهنا اعتماد خطتين عسكريتين، إحداهما تكتيكية لعمرو بن العاص، والأخرى استراتيجية لعمر بن الخطاب، فأما عمرو بن العاص فقد خشي من مفاجأة دخول الحشود الرّومانية القريبة على خط المعركة فقرر مشاغلة هذه الحشود عبر بعوث عسكرية، كما أنها ستقوم بالضّغط على الأرطبون المسؤول عن حماية هذه المنطقة وردّ المسلمين عنها، فبعث عمرو بن العاص كلاً من علقمة بن حكيم الفراسي و مسروق بن بلال العكيّ إلى إيلياء، وقيل إنهما جاءا من دمشق بأمر أبي عبيدة بعد فتحها لمساندة عمرو كما يقول ابن عساكر، وبعث أبا أيوب المالكي إلى الرّملة التي خرج معظم عساكرها إلى الحشد القريب في أجنادين وكانت الحامية

الرّومانية في الرّملة بقيادة (التّذارق) شقيق هرقل الذي قدم إليها مهزوماً من اليرموك مع آلاف من جيشه المنهزم.

أما الخطة الاستراتيجية العسكرية لعمر بن الخطاب الذي كان آنذاك في الجابية جنوب سورية [1] مجتمعاً بأمراء الجيوش عدا عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة اللذين كان في أجنادين يقابلان الأرطبون، ثُمَّ أدركاه هناك فاعتنقهما وقبّلهما[2]، فاعتمدت على أن يبقى يزيد بن أبي سفيان كقوة احتياطية في ظهور المسلمين، وسرّح معاوية بن أبي سفيان الذي كان يعمل تحت إمرة أخيه يزيد إلى ميناء قيسارية على ساحل البحر المتوسط ليقطع الإمدادات البحرية والعسكرية حيث يوجد فيها جيش ضخم، وأرسل علقمة بن مجزّز إلى غزة فحصر القائد الرّوماني (الفيقار) هناك ليمنع المدد الرّوماني للأرطبون من غزة ومصر والبحر فيكون الأرطبون في أجنادين وحيداً في مواجهة الكمّاشة العسكرية للجيوش الإسلامية.

وتوافدت الإمدادات العسكرية من الخليفة عمر أو أبي بكر و يزيد بن أبي سفيان فكان عمرو يوزعها على بعوثه العسكرية.

وضرب الأرطبون حول جيشه نطاقاً أمنياً شديداً بحيث شعر عمرو بن العاص بضعف المعلومات الاستخبارية الواردة إليه من عيونه، كما أن رسله إلى الأرطبون لم يفيدوه في تقديم معلومات أو تقديرات مقنعة يمكن الاستفادة منها في ضرب العدو لذلك قرر أن يقوم بمغامرة خطيرة وجريئة بالتّنكّر بهيئة سفير من عمرو إلى

(1) :البداية والنهاية 55/7.
(2) :البداية والنهاية 56/7.

الأرطبون في قصة طريفة) وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة، ولا تشفيه الرّسل، فوليه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حضرته حتَّى عرف ما أراد، وقال الأرطبون في نفسه: والله إن هذا لعمرو أو أنه الذي يأخذ عمرُ برأيه، وما كنت لأصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله.

فدعا حَرَسيّاً فسارّه فأمره بالفتك به، فقال: اذهب فقم في مكان كذا وكذا، فإذا مرّ بك فاقتله، ففطن عمرو بن العاص، فقال للأرطبون: أيها الأمير! إني قد سمعت كلامك وسمعت كلامي، وإني واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالي لنشهد أموره، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت.

فقال الأرطبون: نعم، فاذهب فأتني بهم. ودعا رجلاً فسارّه، فقال: اذهب إلى فلان فردّه.

وقام عمرو فذهب إلى جيشه ثُمَّ تحقق الأرطبون أنه عمرو بن العاص، فقال: خدعني الرّجل، هذا والله أدهى العرب. وبلغت عمر بن الخطاب، فقال: لله در عمرو)[1].

ثُمَّ اشتدت المعركة بين الفريقين وكثر القتل بينهم، واستشهد من المسلمين قرابة الثلاثة آلاف حفظت لنا المصادر التّاريخية والحديثية أسماء أعلام منهم، ولكنّ اجتماعَ البعوث والأمداد العسكرية على عمرو بن العاص ضمن سياسة (الكماشة العسكرية)

---

(1): تاريخ الطّبري**101/3** تاريخ دمشق**102/2** غزوات ابن حبيش **195/1** المنتظم **192/4** البداية والنهاية **53/7** .

أثمرت عن نصر قوي لعمرو وانهزمت فلول الرّومان إلى إيلياء التي تحصنوا في بلدتها واجتمع فيها جيش عظيم لحمايتها.

وكان خالد بن الوليد أحد قادة هذه المعركة فكتب إلى أبي بكر يبشره بالفتح في أجنادين (أخبرك أيها الصّديق أنا لقيَنا المشركون وقد جمعوا لنا جموعاً جمة بأجنادين وقد رفعوا صلبهم ونشروا كتبهم وتقاسموا بالله لا يفرون حتَّى يفنونا أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين عليه، فطاعنّاهم بالرّماح شيئاً،ثُمَّ صرنا إلى السّيوف فقارعناهم بها قدر جزر جزور، ثُمَّ إن الله أنزل نصره وأنجز وعده وهزم الكافرين فقاتلناهم في كل فج وشعب وغائط ...، وجملة من أحصيناهم ممن قتل من المشركين خمسون ألفاً وقتل من المسلمين في اليوم الأول والثاني أربعمائة وخمسون رجلاً ختم الله لهم بالشّهادة منهم عشرون رجلاً من الأنصار ومن أهل مكة ثلاثون رجلاً...، والبقية من أخلاط النّاس ... ونحن راجعون إلى دمشق، فالحمد لله على إعزاز دينه وإذلال عدوه وحسن الصّنع لأوليائه والسّلام)[1].

وقد تابع المسلمون انتصارهم بملاحقة فلول المهزومين يأسرونهم ويقتلونهم حيث هربوا إلى أقرب قواعدهم في إيلياء وقيسارية وبلغ بعضهم دمشق وحمص فتحصنوا بها[2].

(1): فتوح الشّام59 الرّوض المعطار12.
(2): تاريخ فتوح الشّام 92.

وقد أدت هذه المعركة إلى انكشاف الرّومان في فلسطين وحَصْرهم في مناطق داخلية معزولة إلا مَن كان في السّاحل، وفتحت الطّريق أمام الجيوش الإسلامية لتمشيط المنطقة وتطهيرها من الوجود الرّوماني.

ثُمَّ جرت مراسلات بين عمرو بن العاص والأرطبون في إيلياء، وتحكي كتب الأخبار أن الأرطبون أخبر عمرو بن العاص أن فتح هذه المدينة يكون على شخص على ثلاثة أحرف اسمه عمر كما يقول الإنجيل ... وبغض النّظر عن صحة هذه المرويات فإن الرّوم كانوا يشعرون بقرب الهزيمة لاسيما أن قيصرهم (هرقل) ودّع سورية واندحر صوب عمق الأراضي الرّومانية في أقصى شمال بلاد الشّام[1]، وكأنهم كانوا يرجون مجيئ الرّجل الأول لدى المسلمين ليتفاهموا معه حول مقدساتهم المسيحية ، ويدل على ذلك تكرر هذه المرويات في أخبار فتح (إيلياء).

موقعة (فحل بيسان)

لما فرغ المسلمون من معركة أجنادين توجه عمرو بن العاص إلى تجمع روماني كبير آخر في فلسطين على الحدود مع الأردن الآن قرب بيسان في أرض يقال لها (فِحْل) ،في الضّفة الشّرقية لنهر الأردن يقع في مقابلها (بيسان) على الضّفة الغربية

(1): فتوح الشّام 276.

للنهر في أرض فلسطين؛ وكان المسلمون في (فحل) ، والرّوم تقابلهم في (بيسان)[1].

كان الخليفة عمر على اطلاع بحيثيات هذه المعركة وكانت خطته تقضي أن يبدأ جيش أبي عبيدة بحصار دمشق وأن يشغل الرّومان المجتمعين بـ(فحل) بخيلٍ تكون بإزائهم، فأرسل أبو عبيدة عشرة قواد إلى (فِحل)، ومع كل قائد وحدةٌ عسكرية، وكان على هؤلاء القادة عمارة بن محنس (أو مخشي)، وهؤلاء القادة هم : أبو الأعور السّلمي وعبد عمرو بن يزيد الجرشي وعامر بن خيثمة وعمرو بن كلب وعمارة بن الصّعق بن كلب وصيفي بن علبة وعمرو بن الخبيب ولبدة بن عامر وبشر بن عصمة[2].

وعمارة بن مخشي قائد له خبرة قتالية معروفة حيث شارك في معركة اليرموك وكان قائد كردوس على ميمنة جيش المسلمين في هذه المعركة[3].

ويبدو أن أبا عبيدة لحق هذا الجيش قبل نهاية المعركة وضمّ هذا التّشكيل إلى قيادة المنطقة العسكرية التي كانت بيد شرحبيل بن حسنة[4].

وكانت الإضافة الكبيرة في هذه المعركة انضمام قبائل عربية شامية إلى المسلمين، وكانوا من لخم وجذام وغسان وعاملة والقين وبعض قبائل قضاعة فكثر عدد المسلمين بهم وقووا جداً[1].

---

(1) :انظر تاريخ دمشق 106/2.
(2): تاريخ دمشق 128/2 .
(3): تاريخ الطبري593/2.
(4) : انظر تاريخ دمشق129/2.

كان المسلمون متعجلين لفتح بيسان بينما كانت الرّوم تنتظر إمدادات كبيرة من وسط الشّام، وجعلوا يراسلون المسلمين ويكتبون لهم على سبيل المخادعة (أنتم أحب إلينا من الرّوم وأرأف، ولكنهم قد غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا) بينما كان المسلمون على غير ثقة بهم وكانوا يطلبون إليهم أن يعقدوا المصالحة والمعاهدة في كتاب يكتبونه لكن جيش بيسان الرّوماني كان يماطل كثيراً[2].

ويروي لنا المؤرخون تفاصيل مهمة عن المعركة (خلف النّاسُ يزيدَ بن أبي سفيان في خيله في دمشق، وسار نحو فِحل، وعلى النّاس الذين هم بالغور شرحبيل بن حسنة، وسار أبو عبيدة، وقد جعل على المقدمة خالد ابن الوليد، وأبو عبيدة على الميمنة، وعمرو بن العاص على الميسرة، وعلى الخيل ضرار بن الأزور، وعلى الرّجالة عياض بن غَنْم، فوصلوا إلى فِحل، وهي: بلدة بالغور، وقد انحاز الرّوم إلى بيسان ومعهم الحامية الرّومانية التي فرّت من طبرية شمالي بيسان، وأرسلوا مياه تلك الأراضي على ما هنالك من الأراضي حتَّى أرْدَغت الأرضُ (أي كثر وحلها) فحال بينهم وبين المسلمين، وأرسل المسلمون إلى عمر يخبرونه بما هم فيه من مصابرة عدوهم، وما صنعه الرّوم من تلك المكيدة، إلا أن المسلمين في عيش رغيد ومدد كبير وهم على أهبة من أمرهم. وأمير هذا الحرب شرحبيل بن حسنة، وهو لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة.

---

(1) : تاريخ فتوح الشّام 111.
(2) : تاريخ فتوح الشّام111- 112.

وظن الرّوم أن المسلمين على غرّة فركبوا في بعض الليالي ليبيتوهم، وعلى الرّوم (سقلار بن مخراق)، فهجموا على المسلمين فنهضوا إليهم نهضة رجل واحد كأنهم على أهبة دائماً فقاتلوهم حتَّى الصّباح، وذلك اليوم بكماله إلى الليل.

فلما أظلم الليل فر الرّوم، وقتل أميرهم سقلار، وركب المسلمون أكتافهم، وأسلمتهم هزيمتهم إلى ذلك الوحل الذي كانوا قد كادوا به المسلمين فغرّقهم الله فيه، وقتل منهم المسلمون بأطراف الرّماح ما قارب الثّمانين ألفاً لم ينج منهم إلا الشّريد، وغنموا منهم شيئاً كثيراً ومالاً جزيلاً[1]

وظاهر من هذه الرّواية أن الرّومان استدرجوا المسلمين إلى هذه المنطقة المنخفضة ثُمَّ قاموا بإساحة المياه من الوديان ومجاري المياه ونهر الأردن مستغلين ارتفاع مدينة بيسان عن غور الأردن ووجود نهر يقال له (ماء بيسان) يجري في فروع مختلفة باتجاه الغور، حتَّى أصبحت الأرض مُوحِلة مما تسبب في تعثّر خيول المسلمين وبطء حركتها مما يجعل المسلمين صيداً سهلا للرومان إذا تقدموا.

كما أن أمداد الرّوم والمؤن تدفقت عليهم[2] وتحسن وضعهم العسكري كثيراً.

---

(1) : تاريخ الطّبري629/2 تاريخ دمشق 105،106 غزوات ابن حبيش 218/1 البداية والنهاية 25/7.
(2) : تاريخ فتوح الشّام 112.

ولكن المسلمين تفوقوا عليهم بخطة ذات تكتيك أوسع وأكثر إحكاماً من هذا التّكتيك:

فقد كانت المنطقة محاطة بحركة الجيوش الإسلامية في طبرية وغور الأردن وإيلياء وساحل البحر مما جعل الأمداد تتواصل عليهم بدون انقطاع، وقطع المسلمون خطوط الإمداد من ناحية الجنوب بإرسال بعث عسكري بقيادة علقمة بن حكيم ومسروق بن فلان العكي فنزلا قرب إيلياء.

كما قرر أبو عبيدة الذي يبدو أنه شارك في بعض عمليات هذه المعركة بنفسه كما نفهم من رواية الأزدي أو عبر قائده يزيد بن أبي سفيان إحكام الحصار على عدوهم عبر قطع خطوط المؤن والميرة والإمدادات فأغار على القرى والسّواد والرّساتيق (أي الرّيف)[1].

فأغار صفوان بن المعطل الخزاعي ومعن بن يزيد السُلَمي في مائة فارس على بضعة آلاف من الرّوم حول بيسان فغنم منهم غنائم كبيرة، ثُمَّ قاموا بدورهم بهجوم معاكس استردوا فيه ما غنمه المسلمون، ثُمَّ فوجئ الرّوم بحابس بن سعيد الطّائي يحمل عليهم في مائة رجل من قبيلته (طيئ) فاسترد بعض غنائم المسلمين[2].

كما أن المسلمين كانوا في رغد نتيجة توافر المؤن لديهم بينما كان الرّومان في آخر أمرهم محاصرين بجيوش المسلمين وبالأوحال التي صنعوها، ويعبر ابن عساكر عن ذلك

(1) : تاريخ فتوح الشّام 112.
(2) : تاريخ فتوح الشّام 113.

بـالقول:(وأصـاب المسـلمون مـن ريـف الأردن أفضـل مـا تـرك فيـه المشركون : مادتهم متواصلة وخصبهم رغد)[1].

كما أن إساحة الماء أدت إلى حصار ثمانين ألفاً من الجيش الرّومـاني فصـارت بمثابـة مـانع طبيعـي يحجـزهم عـن مهاجمـة المسلمين بمرونة[2].

كما أن ضعف المعلومات الاستخبارية عند الرّومان أدت إلى سوء تقدير لواقع الجيش الإسلامي الذي كان يعرف حاجة الرّومان إلى الخروج من المنطقة التي حاصروا أنفسهم فيها، وقد أحدثت المفاجأة بيقظة الجيش الإسلامي وقيادته في الليل هزيمة معنوية كبيرة لدى الرّومان تسببت في هزيمة عسكرية لا تقل عن هزيمة اليرموك وأجنادين.

على أن الدّور الحاسم في هذه المعركة كان لفرقة الخيّالة التي كان يقودها خالد بن الوليد، إذ تمكن خالد أوَّل الأمر من كسر حملتين كبيرتين شنها الرّومان عليهم[3].

وبحسب رواية الأزدي فإن تقسيم الجيش قد تغير ، وذلك لأسباب غير معلومة فيما وقفنا عليه إلا أنها قد تكون بسبب خروج بعض القادة كعمرو بن العاص في مهمات عسكرية حول المنطقة، فكان معاذ بن جبل على الميمنة، وهشام بن العاص شقيق عمرو

(1) : تاريخ الطبري 629/2 تاريخ دمشق 106/2.
(2) : انظر تاريخ الطبري 629/2-630 تاريخ دمشق 129/2.
(3) : تاريخ فتوح الشّام 128-129.

على الميسرة، وعلى الرّجال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل،وعلى الخيل خالد بن الوليد[1].

ومرويات الأزدي تؤكد مشاركة أبي عبيدة في هذه المرحلة حيث استعرض الجيش وأخذ يحرض القبائل على القتال[2].

وقد أدرك الرّومان القدرات العسكرية والفروسية الكبيرة لفرقة الخيالة فقرروا جمع خيولهم ومشاتهم معاً فجعلوا الفارس بين راجلين أحدهما ناشب (يضرب النّشاب)، والآخر رامح (يضرب الرّمح)، ثُمَّ جعلوا مجنبتين (ميمنة وميسرة) في كل مجنبة ثلاثة صفوف كلهم رجالة.

عند ذلك قام خالد بإعداد تشكيل عسكري يعتمد على الخيالة وقسم خيله ثلاثة أثلاث ، ثلث معه، وثلث مع قيس بن هبيرة المرادي، وثلث مع ميسرة بن مسروق العبسي، واستهدفوا جميعاً إزاحة خيالة الرّوم عن رجالتهم، فانكشفت رجالة الرّوم مما سمح لرجالة المسلمين أن يشتبكوا معهم، ثُمَّ حملت خيل المسلمين على خيل الرّوم فأخرتهم للوراء فدافعت أعجاز خيل الرّوم صدور رجالة الرّوم فحصل ارتباك شديد مكّن المسلمين من اختراق صفوفهم[3].

خلال المعارك العنيفة ولاسيما في معارك ريف بيسان قام أحد قادة الرّوم المعروف باسم(ابن الجعيد) ويبدو أنه عربي من حلفاء

(1) :تاريخ فتوح الشّام130.
(2) :تاريخ فتوح الشّام131.
(3) : تاريخ فتوح الشّام 131-132.

الرّوم بمصالحة أبي عبيدة على سواد (الأردن) الذي يشمل مناطق الجليل الآن والشّمال الغربي لبلاد الأردن الحالية[1].

ولما رأى أهل (فحل) الذين كانوا في الحصون أن أهل الأردن قد صالحوا أبا عبيدة سألوه الصّلح على أن لا يقتلوهم وأن يأمنوا على أنفسهم وأن يؤدوا الجزية، ومن كان منهم من الرّوم أن يلحق بالرّوم ويخلي بلاد الأردن ومن أحب منهم المقام أدى الجزية.

أما من لم يكن في الحصون ممن كان في الأرض والقرى فقد أخذت منهم الأرض عنوة بغير صلح، وأقرهم الخليفة عمر على أرضهم بعد ذلك بعد أن استفتاه أبو عبيدة بشأنهم لأنهم أعلم بأرضهم وأقوى عليها من غيرهم[2].

وبعد هذا الانتصار الكبير تمكن عمرو بن العاص وشرحبيل من فرض سيطرتهم على شمال فلسطين ووسطها كما سنبين ذلك في فتوح المدن الفلسطينية.

(1) :تاريخ فتوح الشّام 112.
(2) : تاريخ فتوح الشّام 140.

فتح بيت المقدس (إيلياء)

كان الخليفة أبو بكر في حياته يرجو أن تكون مدينة بيت المقدس في حيازة المسلمين، وجعل هدف الجيش الذي يقوده عمرو بن العاص فلسطين وإيلياء، وكانت النّاس تسمع توجيه أبي بكر لعمرو (عليك بفلسطين وإيليا) [1].

بعد معركتي أجنادين وفحل بيسان كان الرّومان قد حُصروا في منطقة معزولة في منطقة بيت المقدس الحصينة والمرتفعة وكانوا بأعداد ضخمة، بينما كانت فلسطين في معظمها تحت سيطرة حركة الجيوش الإسلامية التي تتحرك بحرية في شمال فلسطين وجنوبها وشرقيها وغربيها، كما كانت فتوح الشّام تتكامل في دمشق وحمص والجزيرة ولبنان وإنطاكية، فجمع أبو عبيدة في دمشق أمراء المسلمين واستشارهم في المسير إلى ميناء قيسارية بجيش ضخم أو إلى بيت المقدس، فكان الرّأي أن يطلبوا من الخليفة تحديد الوجهة التالية، وشاور عمر بن الخطاب كبار الصّحابة فأشار عليه علي بن أبي طالب أن يأمر أبا عبيدة أن ينزل بجيوش المسلمين في بيت المقدس فإن فتحها الله صرف وجهه إلى قيسارية فانشرح صدر الخليفة لهذا الرّأي فكتب إلى أبي عبيدة بذلك ففرح المسلمون لذلك جداً[2] فكأن ذلك وقع منهم موقعاً جميلاً ترافق مع تقدير عسكري يقضي بضرورة الاستفادة من واقع العزلة للجيش

---

(1) **: فتوح الشّام20.**
(2) : **ثمرات الأوراق 295.**

الرّومـاني فـي إيليـاء بينمـا تنقطـع جميـع الإمـدادات عـنهم ويـتم مشاغلتهم في قيسارية.

ويذكر البلاذري أن أبا عبيدة توجّه إلى (إيلياء) بعد انتهائه من فتح (قنّسرين) في شمال سوريا عام 16 هـ فقدم على عمرو بن العاص وهو محاصر (إيلياء) فوجهه أبو عبيدة لقتال أنطاكية من إيلياء ثُمَّ عاد إلى إيلياء ثُمَّ طلب أهل إيلياء من أبي عبيدة الأمان والصّلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشّام من أداء الجزية والخراج والدّخول فيما دخل فيه نظراؤهم، على أن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب فكتب إلى عمر بذلك فقدم عمر ونزل الجابية ثُمَّ صار إلى إيلياء فأنفذ صلح أهلها[1].

وكان اختيار عمرو بن العاص لمحاصرة بيت المقدس دقيقاً إذ كان لعمرو بن العاص معرفة بهذه المناطق حيث قدم إلى بيت المقدس في شبابه في تجارة لنفر من قريش في الجاهلية[2].

ونجد في مصادر أخرى بعض التّفاصيل التي أغفلتها هذه الرّواية المهمة للبلاذري (بعث أبو عبيدة إلى أهل إيلياء برسالة)يدعوهم فيها إلى الله والإسلام أو يبذلون الجزية أو يؤذنون بحرب(فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه فركب إليهم في جنوده وحاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتَّى أجابوه إلى الصّلح شرط أن يقدم

(1) :فتوح البلدان 189.
(2) :فتوح مصر وأخبارها 53.

عليهم الخليفة عمر بن الخطاب)[1] وقال ابن الكلبي: إن أبا عبيدة شخص إلى إيلياء وعلى مقدمته خالد بن الوليد حاصر إيلياء فسألوه الصّلح على أن يكون عمر هو يعطيهم ذلك[2].

ويزيد (ابن حبيش) تفاصيل أخرى مهمة عن هذا الحصار إذ يذكر أن خالد بن الوليد حاصرهم حصاراً شديداً وضيق عليهم حتَّى اضطرهم للدخول في حصونهم، وكان معه يزيد بن أبي سفيان كل واحد منهما على جانب.[3]

ويبدو أن كبار الصّحابة لم يقْنَعوا بهذا العرض الرّوماني بحضور الخليفة وطلب معاذ بن جبل أحد كبار مستشاري أبي عبيدة أن يأخذ من أهل إيلياء مواثيق مغلظة إذ ليس لائقاً أن يأتي الخليفة فلا يجد ما يتحدثون عنه فتكون رحلته عناء وفضلاً[4].

ويذكر ابن حجة الحموي القصة [5] بأوفى مما ذكره المؤرخون إذ لما وصل كتاب عمر إلى أبي عبيدة بالسّير إلى بيت المقدس سار جيشه قبله إلى بيت المقدس وأقام حول بيت المقدس في الشّتاء يقاتل لعشرة أيام ولا نعلم على جهة التّحقيق من هو القائد على المسلمين خلال الأيام العشرة، فلما كان اليوم الحادي عشر أشرفت راية أبي عبيدة وعلى ميمنة جيشه خالد بن الوليد،

---

(1) :تاريخ الطبري104/3 البداية والنهاية 54/7 .
(2) :تاريخ دمشق 476/21.
(3) :غزوات ابن حبيش 303/1 فضائل بيت المقدس لضياء الدين المقدسي94.
(4) :تاريخ فتوح الشّام 248 غزوات ابن حبيش 304/1.
(5) :ثمرات الأوراق 295 ووردت القصة باختلافات يسيرة في تاريخ فتوح الشّام 256 – 259.

وعلى الميسرة عبد الرّحمن بن أبي بكر فضجّ الجيش الإسلامي المرابط حول بيت المقدس بالتّهليل والتّكبير مما تسبب في قلق كبير لدى أهل المدينة المحاصَرة دفعهم للاجتماع بقيادتهم الدّينية واجتمع أمرهم على الصّمود،فاستمر الحصار عليهم لأربعة أشهر دون أن يُضعف سوء الأحوال الجوية معنويات الجيش الإسلامي رغم الثّلج والمطر والبرد، ولكن عزلة المدينة عسكرياً وانقطاعها عن الإمدادات والتّموين واشتداد الحصار عليها وإنهاكهم بالقتال اليومي ورشقهم بالنّبال طوال أربعة أشهر كاملة [1] جعل أهلها في وضع صعب فضغط الأهالي على قياداتهم الدّينية أن يفعلوا شيئا لإخراجهم مما هم فيه من مشقة وسوء حال فاجتمع الرّهبان والبطارقة على تسليم المدينة للخليفة عمر بن الخطاب بشروط فأرسل أبو عبيدة إلى الخليفة عمر الذي شاور أصحابه فكان رأي عثمان بن عفان ألا يذهب عمر بن الخطاب استخفافاً بالعدو وأن طلبهم هذا دليل انكسار فلا يثبتون إلا يسيراً، وأما علي بن أبي طالب فرأى أن طلبهم هذا ذلة وانكسار وقد أصابهم الجهد من البرد والحصار والقتال، وأن الخشية لا تزال قائمة من وصول إمدادات رومانية إليهم، وليخفف عن الجيش الإسلامي الذي يعاني من الحصار والبرد وطول الانتظار، وأشار عليه أن يسير إليهم فيفتح الله على يديه.

ففرح عمر بمشورة علي وقال لقد أحسن عثمان النّظر في المكيدة للعدو وعلي أحسن النّظر للمسلمين جزاهما الله خيراً ولست

(1) : انظر: فتوح الشّام 200.

آخذ إلا بمشورة علي فما عرفناه إلا محمود المشورة ميمون الطّلعة ثُمَّ إن عمر أمر النّاس أن يأخذوا الأهبة للمسير معه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وخرج من المدينة وهو على بعير له أحمر عليه غرارتان في إحداهما سويق وفي الأخرى تمر، وبين يديه قربة وخلفه جفنة الزاد فسار عمر حتَّى وصل إلى بيت المقدس ولقيه أبو عبيدة هناك.

وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثُمَّ ركبوا جميعاً إلى أن نزلوا فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثُمَّ خطبهم فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما لقي من الرّوم إلى أن حضرت صلاة الظّهر أذن بلال في ذلك اليوم فلما قال الله أكبر خشعت جوارحهم واقشعرت أبدانهم فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله. وأشهد أن محمداً رسول الله أبكى النّاس بكاء شديداً عند ذكر رسوله وكاد بلال أن يقطع الأذان فلما فرغ الأذان صلى عمر وجلس ثُمَّ أمرهم بالرّكوب فلما همّ بالرّكوب من بعيره وعليه مرقعة الصّوف وفيها أربع عشرة رقعة بعضها من آدم قال المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك جواداً ولبست ثيابا لكان ذلك أعظم لهيبتك في قلوب أعدائك وأقبلوا يسألونه ويتلطفون به إلى أن أجابهم إلى ذلك ونزع مرقعته ولبس ثياباً بيضا قال الزبير أحسبها كانت من ثياب مصر تساوي خمسة عشرة درهما وطرح على كتفيه منديلاً من الكتان دفعه إلى أبي عبيدة وقدذم له برذونا أشهب من براذين الرّوم فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر إلى ذلك

نزل مسرعاً وقال أقيلوا عثرتي أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر ثُمَّ إنه نزع البياض وعاد إلى لبس مرقعته وركوب بعيره فعلت ضجة المسلمين بالتّهليل والتّكبير فقال البطرك للروم أنظروا ما شأن العرب فأشرف رجل من المتنصرة فقال يا معشر العرب ما قضيتكم فقالوا أن عمر بن الخطاب قد قدم علينا من مدينة نبينا صلى الله عليه وسلم فرجع المتنصر وأعلم البطرك فأطرق ولم يتكلم فلما كان من الغد صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثُمَّ قال لأبي عبيدة تقدم إلى القوم وأعلمهم أني قد أتيت فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى فما تصنعون فيما قلتم فأعلم البطرك بذلك فخرج من قمامة وعليه المسوح ومن حوله الرّهبان والقسس ثُمَّ علا السّور وأشرف على أبي عبيدة وقال ما هذا أيها الشّيخ قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين من بينكم حتَّى نراه فرجع أبو عبيدة إلى عمر فأخبره بما قال البطرك فهم عمر بالقيام فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشى عليك من الإنفراد بلا عدة فقال عمر قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثُمَّ لبس مرقعته وركب بعيره وأبو عبيدة سائر بين يديه إلى أن أتى بإزاء البطرك قريباً من الحصن فقال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين فمد البطرك عنقه ونظر إليه فزعق زعقة قال هذا والله الذي صفته ونعته في كتبنا ثُمَّ قال يا أهل بيت المقدس انزلوا إليه وخذوا منه الأمان والذمة فهذا والله صاحب محمد بن

عبد الله فنزلوا مسرعين وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدة الحصار وفتحوا الباب وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد فلما رآهم عمر رضي الله عنه في تلك الحالة تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجداً على قتب بعيره ثُمَّ أقبل عليهم وقال ارجعوا إلى بلدكم ولكم العهد فرجع القوم إلى البلد ولم يغلقوا الباب ورجع عمر فلما كان من الغد وهو يوم الإثنين دخل إليها وأقام بها إلى يوم الجمعة وخطّ بها محراباً وهو موضع مسجد وتقدم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة وأقام في بيت المقدس عشرة أيام وبها أسلم كعب الأحبار على يده وارتحل معه إلى المدينة لزيارة قبر النّبي صلى الله عليه وسلم وذلك بعد أن كتب الإمام عمر لأهل بيت المقدس وأقرهم في بلدهم على عهدهم وأداء الجزية.

وظاهر من رواية ابن حجة أن الخليفة عمر أجرى الصّلح في بيت المقدس في اليوم التالي لوصوله إلى المدينة.

والرّواية المشهورة لدى المؤرخين هي أن عمر ذهب إلى الجابية والتّقى هناك بقادة الجيوش يزيد وأبي عبيدة وخالد وأما عمرو وشرحبيل فكانا بأجنادين ثُمَّ وافوه بعد ذلك.

وتروي المصادر المختلفة أن الخليفة عمر بن الخطاب قدم الجابية بناء على طلب أمراء الجيوش بعد أن كثر الفيء والغنائم فجند الأجناد ومصّر الأمصار وفرض أعطيات الجند وأرزاق الجيش

والعاملين سنة 16 أو 17 أو 18 للهجرة على خلاف في ذلك[1] لكن يبدو أن تلك الزيارة الإدارية كانت بعد فتح بيت المقدس لا قبله.

وبينما كان هناك قدم وفد ومعهم جنود من بيت المقدس الذي تحاصره قوات المسلمين وكانوا قد سمعوا بوصول الخليفة وكتب لهم كتاب أمن ومصالحة وفرض عليهم الجزية فيما عُرف بعد ذلك بالعهدة العمرية التي شهد عليها عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعبد الرّحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب في الجابية أيضاً كتاباً لأهل (لد) والرّملة[2].

ومن الواضح من روايات المؤرخين أن الرّومان لم يكونوا يسيطرون على بيت المقدس بعد أجنادين وأن أهلها ومن أوى إليها من الجنود هم من قام بحمايتها والدّفاع عنها، ويؤكد ذلك أن جميع المرويات لا تشير لأي دور سياسي لهم وإنما كان الدّور السّياسي والمفاوضات وعقد الصّلح بيد الرّهبان ورجال الدّين المسيحي، ويؤيد هذا أيضاً ما رواه الطّبري في تاريخه [3]أن (الذي صالحه كان العوام من أهل إيلياء والرّملة لأن أرطبون والتّذارق دخلا مصر). كما كان عمرو بن العاص قد وجه بعوثاً بقيادة علقمة بن حكيم الفراسي و مسروق بن بلال العكيّ لمحاصرة إيلياء أثناء معركة أجنادين كما أشرنا آنفاً.

(1) : تاريخ دمشق 166/2- 172 تاريخ أبي زرعة178/1.
(2) : تاريخ الطبري 105/3 البداية والنهاية 57/7 الكامل 499/2.
(3) : تاريخ الطبري 104/3 وانظر: الكامل 501/2.

وتحكي المصادر أن عمر بن الخطاب أرسل وهو بالجابية (قرب مدينة درعا جنوبي سوريا الآن) جيشاً بقيادة خالد بن ثابت الفهمي إلى بيت المقدس فقاتلهم ولكنهم فضّلوا الصّلح فكان الاتفاق أن يكون للمسلمين ما هو خارج الحصن وأن يكون لهم ما هو داخله واشترط خالد الفهمي موافقة الخليفة عمر على ذلك، فأمره أن يقف على حاله حتَّى يأتي بنفسه، فقدم عمر فأجاز ذلك وفتحوا له بيت المقدس ، فبيت المقدس يسمى فتح عمر بن الخطاب[1].

وروي أيضاً أن الخليفة عمر أرسل رجلاً من جَدِيلة (لم يذكر اسمه) إلى بيت المقدس- لما اشتعل الطّاعون بدمشق ونهاه أصحابه عن دخولها- فافتتحها الجديلي ثُمَّ سار إليها عمر.[2]

على أن أكثر روايات فتح بيت المقدس منطقية ودقة هي مرويات محمد بن عبد الله الأزدي في تاريخ فتوح الشّام حيث تمتاز بالتّسلسل والتّركيز والوضوح، وسنركز هذه المرويات في النّقاط التالية مع ملاحظة أن الأزدي يعتمد رواية أن فتح الخليفة عمر لبيت المقدس كان بعد اليرموك مباشرة وهي غير رواية البلاذري التي نقلناها سابقا عن أن فتح بيت المقدس كان عام 15 أو 16 للهجرة بعد فتح دمشق وشمال سوريا:

(1) : الأموال لأبي عبيد 182 الأموال لابن زنجويه 389/1 فتوح البلدان 188.
(2) : تاريخ دمشق 171/2 الأموال لأبي عبيد 182 الأموال لابن زنجويه 389 .

- **أهالي (إيلياء) و(قيسارية) يرسلون وفداً إلى هرقل في إنطاكية يؤكدون فيها ولاءهم له ويطلبون منه المدد بعد هزيمة الرّومان في (فحل) إلى الشّمال من إيلياء[1].**
- **هرقل يأمر بجيش عظيم يزيد عن ثلاثمائة ألف ومعه أمداد كثيرة من أرمينية والجزيرة الفراتية وروسيا[2].**
- **المسلمون ينسحبون من حمص ودمشق ويستعدون لمواجهة الجيش الرّوماني خارج المدن والحصون في اليرموك[3].**
- **ورود رسالة إلى أبي عبيدة من عمرو بن العاص يحملها ابنه عبد الله تكشف عن خطورة الأوضاع في فلسطين بعد نقض أهل الأردن وإيلياء لعهودهم هذا نصها: أما بعد فإن أهل إيلياء وكثيرا ممن صالحناهم من أهل الأردن قد نقضوا العهد، وذكروا أن الرّوم قد أقبلت إلى الشّام بقضها وقضيضها، وأنكم قد خليتم لهم عن الأرض وخرجتم وأقبلتم منصرفين عنها،وقد جرأهم ذلك عليّ وعلى مَن قِبلي من المسلمين، ... وتواثقوا وتعاهدوا ليسيرنّ إليّ فاكتب إليّ برأيك ...(وحذر عمرو في رسالته من اتخاذ قرار يضعف موقفه في فلسطين)[4].**

---

(1) : تاريخ فتوح الشّام151-152.
(2) : تاريخ فتوح الشّام 154.
(3) : تاريخ فتوح الشّام 155.
(4) : تاريخ فتوح الشّام 162.

- **اتخذ أبو عبيدة قراره بالاجتماع إلى عمرو بن العاص فاجتمعوا في اليرموك قريباً من عمرو[1].**
- **أراد عمرو أن يكشف ظهر الرّوم في (إيلياء) ويحمي ظهر المسلمين مستفيداً من وجود جيوش المسلمين قربه، فقرر اتخاذ إجراءات شديدة ضد أهل إيلياء وتحريض جيرانهم من أهل الأردن عليهم، وخطب في المسلمين ممن عنده أن ذمة الله بريئة من أحد من أهل الأردن يستطيع أن يأتيني بواحد من أهل إيلياء ولم يأتني به. وأمر الجميع بالتّهيؤ والاستعداد لغزو إيلياء، وتهدد أهل إيلياء في خطبته بالقتل والسّبي حتَّى يؤدوا الجزية وهم صاغرون[2].**
- **عسكر عمرو على بعد ميلين من (إيلياء) واجتمع إليه من صالحه من أهل الأردن بقيادة ابنه عبد الله في خمسمائة رجل، وأراد عمرو أن يشغل أهل الأردن حديثي الحِلْف عن الإرجاف[3].**
- **وصول الدّعاية الحربية المضادة إلى مسامع أهل إيلياء نقلها لهم تجار الأردن بإيلياء وأقرباؤهم فأيقنوا أن عَمْراً يريدهم[4].**

---

(1) : تاريخ فتوح الشّام 163.
(2) : تاريخ فتوح الشّام 164.
(3) : تاريخ فتوح الشّام 165.
(4) : تاريخ فتوح الشّام 165.

- **أرسل عمرو إلى بطارقة إيلياء رسالة شديدة يذكر فيها ضلالهم ويدعوهم للاستسلام مقابل الأمان على أنفسهم وأموالهم وأن يؤدوا الجزية وأرسل الرّسالة مع رجل نصراني من أهل الأردن[1].**
- **يتريث بطارقة الرّوم في الرّد على رسالة عمرو حتَّى تأتيهم عيونهم بخبر حشود الرّوم، فتأتيهم الأخبار أن حشود الرّوم كبيرة وأن المسلمين انسحبوا من حمص ودمشق[2].**
- **يرد البطارقة على عمرو أنهم يرفضون الاستسلام[3].**
- **يبدو أن عمرو بن العاص انسحب بعد ذلك للمشاركة في معركة اليرموك[4].**
- **بعد معركة اليرموك توجه أبو عبيدة صوب إيلياء على رأس جيشه فحاصرهم وقاتلهم، حتَّى ظنوا أنهم لا طاقة لهم بحربه فطلبوا منه الصّلح شرط حضور الخليفة عمر[5].**
- **أبو عبيدة يرسل إلى الخليفة بالأمر والخليفة يستشير أصحابه ويتجه الرّأي صوب سفر الخليفة لاستلام المدينة[6].**

---

(1) : تاريخ فتوح الشّام 166.
(2) : تاريخ فتوح الشّام 167.
(3) : تاريخ فتوح الشّام 168.
(4) : تاريخ فتوح الشّام 168 وانظر: المنتظم117/4.
(5) : تاريخ فتوح الشّام 247-248.
(6) : تاريخ فتوح الشّام 249-250 .

- **الخليفة يقدم إلى الجابية ثُمَّ ينزل إلى بيت المقدس وينزل له (ابن الجعيد) في ناس من عظماء الرّوم وبطارقتهم ويعقدون الصّلح معه ويدخل النّاس المدينة المقدسة[1].**
- **الخليفة يدخل بيت المقدس في اليوم التالي لعقد الصّلح ويظل فيها من الإثنين حتَّى الجمعة[2].**

وعلى ضوء هذه المرويات يتأكد لنا أن مدينة بيت المقدس كانت واقعة تحت حصار عسكري من قِبل أكثر من جيش إسلامي في أوقات متفاوتة ومتقاربة نتيجة قرب المدينة من دائرة حركة الجيوش الأربعة العاملة في مساحة جغرافية متقابلة، ونتيجة لتقديرات تكتيكية ميدانية لقادة الفتوح مما جعل البعوث العسكرية لهؤلاء الأمراء والقادة تناوش على الدّوام القوة الرّومانية المتمركزة في (إيلياء) ـ بيت المقدس ـ، لذلك وجدنا أن علقمة الفراسي ومسروقاً العكي يعودان للانضمام إلى عمرو بن العاص في أجنادين لحسم المعركة بعد أن أديا مهمتهما في إشغال القوة الرّومانية في إيلياء، كما أن المدينة تعرضت لهجمات متكررة وحصار من خالد بن ثابت الفهمي والرّجل (الجديلي) الذي لم نعرف

---

(1) : تاريخ فتوح الشّام 252- 256 وقد رأينا سابقاً أن (ابن الجعيد) ورد اسمه في عقد الصّلح مع أبي عبيدة على سواد (جند الأردن) وقراها أثناء معركة فحل بيسان، ولا يرد ذكره إلا في مرويات الأزدي في تاريخ فتوح الشّام وتتجاهله جميع المصادر التي وقفنا عليها بينما يرد اسم أبي الجعيد من المستعربة في فتوح الشّام وبيت المقدس وهو غير هذا.

(2) : تاريخ فتوح الشّام 259.

اسمه على التّحقيق وإن كانت العادة في قيادة الفتوح آنذاك ألا يكون على رأسها إلا صحابي [1]، إضافة إلى حصار أبي عبيدة للمدينة.

والإشكال الذي وقع أن المرويات تجعل هذا اشتراط لفتح منسوباً إلى هذا وذاك إلا أن الرّوايتين المشهورتين عن أبي عبيدة وخالد الفهمي تجعلان القرار الأخير بالموافقة على شروط الفتح قراراً من الخليفة عمر نفسه، وهذا ما جعل بعض الرّواة يقولون حسماً للخلاف بالنّظر إلى صاحب القرار وعاقدِ الصّلح : إن بيت المقدس يسمى فتح عمر بن الخطاب كما أسلفنا.

وفي ظني أن هذا الاضطراب مرجعه إلى عدم وجود قيادة سياسية في مدينة(إيلياء) نتيجة الحصار والعزلة بعد أن بسطت العسكرية الإسلامية نفوذها على غالبية المناطق المحيطة بالمدينة، ويبدو أن بعض قادة المسلمين تمكنوا من إجراءا مصالحات ميدانية مع بعض مجموعات المدافعين عن المدينة فظهرت عدة روايات بهذا الخصوص تداولها المؤرخون دون تحقيق وهو أمر شائع جداً في المرويات التّاريخية لتلك الحقبة التي لا يوجد فيها تدوين.

وقد قضى الخليفة عمر بضعة أيام (قيل إنها عشرة) أو أقل في بيت المقدس قام فيها بعقد الصّلح مع القيادات المسيحية الدّينية كما سنبينه في موضعه وقام بالصّلاة في المسجد الأقصى

(1) : انظر تاريخ دمشق 129/2.

وتفقّد المعالم الدّينية ورتّب الأمور الإدارية فيها كما زار بيت لحم جنوبي القدس وأمّنَ النّصارى على كنائسهم[1].

وقيل إن الخليفة عمر دخل بيت المقدس يوم الإثنين وبقي فيها حتَّى يوم الجمعة وصلى بالمسلمين الجمعة[2].

وأمضى الخليفة عمر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الدّاريّين فأقطعهم أراضي في الخليل وبيت لحم كان كتبها لهم النّبي صلى الله عليه وسلم كما سنبيّن ذلك.

ثُمَّ أصدر الخليفة عمر قراره السّياسي بقسمة فلسطين قسمة إدارية إلى نصفين إيلياء والرّملة ، فجعل على الرّملة علقمة بن حكيم الفراسي وجعل على إيلياء علقمة بن مجزّز المُدْلِجي وكلاهما صحابيان شاركا في البعوث العسكرية في أواخر حياة النّبي صلى الله عليه وسلم ولاسيما تبوك وما بعدها[3] ونقل صاحب المنتظم أن من جعله الخليفة على إيلياء هو علقمة بن محمد[4]، وهو خطأ أو تصحيف.

ويذكر الأزدي أن أبا عبيدة ولى عمرو بن العاص على فلسطين بعد صلح بيت المقدس[5]، وفي تقديري أن المقصود بهذه الولاية هي الولاية السّياسية وأما الولاية العسكرية فقد كانت لعمرو بن العاص بأمر أبي بكر وعمر سابقاً، مما يشير إلى استقرار عسكري وأمني كبير في جنوب منطقة بيت المقدس (جند فلسطين) مما يستدعي إقامة نظام إداري وسياسي يدير المنطقة مدنياً، ولكن

---

(1) : انظر معجم البلدان (بيت لحم) 521/1.
(2) : تاريخ فتوح الشّام 259.
(3) : تاريخ الطّبري102/3 الكامل 501/2 الإصابة 105/5.
(4) : المنتظم 193/4.
(5) : تاريخ فتوح الشّام 254.

ولاية عمرو لن تطول كثيراً بسبب انتدابه لفتح مصر وإفريقية، ويروي سيف بن عمر الإخباري الشّهير – في إحدى روايات بدايات فتح مصر - أن الخليفة عمر بعث عمرو بن العاص لفتح مصر بعد فتح بيت المقدس[1].

ومن الواضح أيضاً أن وضع قائدين عسكريين على هاتين المدينتين يشير بجلاء إلى أن المهمة الأساس لهما مهمة عسكرية تتعلق بتأمين المدينتين وملاحقة الجيوب العسكرية المعادية وتأمين الإمدادات العسكرية والمؤن إلى الجيوش التي لا تزال تواصل عملياتها العسكرية ضد الرّومان ولاسيما في السّاحل، لاسيما أن مدينة (إيلياء) موقع استراتيجي لكونها مطلة على الطّريق القديمة الواصلة بين الشّام ومصر وعلى مقربة من مفترق الطّرق الرّابط بين نابلس والخليل، والممر البري بين أريحا وشاطئ البحر المتوسط.

على أن هذين القائدين العسكريين كانا تحت قيادة يزيد بن أبي سفيان الذي أعطاه الخليفة عمر عقب فتح بيت المقدس (أرض فلسطين وأرض القدس والسّاحل)[2].

فتح نابلس

فُتحت نابلس عام 13 هـ على يد عمرو بن العاص بعد معركة أجنادين وفتح أيضاً (سَبَسْطِيَة) من أعمال نابلس[1] وتقع اليوم إلى

(1) : النجوم الزاهرة 28/1.
(2) : فتوح الشّام 210.

الشّمال الشّرقي منها وعقد معهم صلحاً أمّنهم فيه على أموالهم وأنفسهم ومنازلهم مقابل الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم[2].

ويبدو أن هذا الصّلح لم يستمر بسبب اضطراب المنطقة لكثرة الأعمال العسكرية وعدم حسم الأمور نتيجة وجود ثغر كبير للرومان على السّاحل في (قيسارية) حيث لم يتهيأ لهذه المدينة أن تعلن استسلامها للمسلمين حتَّى انكسر الرّومان في قيسارية عام 19 هـ أو في عام 17 هـ فلما علمت كبريات المدن في عكا والرّملة وعسقلان وغزة وطبرية ونابلس أتى كبراؤهم إلى أبي عبيدة فأصلحوا أمرهم معه على (مال لا يحصى).[3]

فتح أريحا

تقع أريحا في الجزء الجنوبي من الأغوار قريباً من الحدود الأردنية الآن وشمالي البحر الميت وتبعد عن القدس 38 كلم وهي غاية في الانخفاض وشدة الحر في الصّيف، وتعتبر لدى مؤرخي الفتوح القدماء ضمن مناطق نفوذ قيادة جند الأردن.

ولم أقف على مرويات تحدد كيفية فتحها لكنني أرجّح أن فتحها كان من أوائل الفتوح لكونها ضمن دائرة عمليات الجيوش المرابطة والمتحركة في تلك المنطقة وهي أقرب إلى المنطقة التي

---

(1) : فتوح البلدان 188 الكامل 499/2.
(2) : فتوح البلدان 188.
(3) : فتوح الشّام 299.

يقودها شرحبيل بن حسنة، ولكونها على الطّريق الرّئيسة الموصلة إلى بيت المقدس التي كانت في حصار متواصل قبل فتحها.

وبالاعتماد على ما ذكره المؤرخون أن الأردن فتحت عنوة إلا طبرية[1] فإنه بالإمكان القول إنها فتحت عنوة.

(1) : **تاريخ خليفة بن خياط 117/1 تاريخ دمشق 139/2 فتوح البلدان 159.**

فتح طبرية

تقع طبرية على ضفة بحيرة طبرية شمال شرق فلسطين عند الحدود السّورية المحتلة الآن، وكانت تعتبر قديماً ضمن مناطق جند الأردن.

ومن الواضح أنها فتحت مبكّراً أيضاً بعد معركة (فحل بيسان) وكانت قد خضعت لحصار عسكري بقيادة أبي الأعور عمرو بن سفيان السُّلَمي بأمر أبي عبيدة بن الجراح القائد العام، فلما بلغ أهل طبرية انتصار المسلمين في بيسان وفي دمشق صالحوا أبا الأعور على أن يأتيهم شرحبيل بن حسنة فصالحهم وصالح أهل بيسان على صلح دمشق على أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن، وما أحاط بها مما يصلها، فيدَعون لهم نصفاً، ويجتمعون في النّصف الآخر، وعن كل رأس دينار كل سنة، وعن كل جَريب أرضٍ جريبُ بُرّ أو شعير؛ أيّ ذلك حُرث؛ وأشياء في ذلك صالحوهم عليها، ونزلت القواد وخيولهم فيها، وتم صلح الأردن، وتفرقت الأمداد في مدائن الأردن وقراها، وكتب إلى عمر بالفتح[1].

إلا أنهم نقضوا عهدهم في خلافة عمر بن الخطاب نتيجة ورود إمدادات رومانية إليهم فأمر أبو عبيدة عمرو ابن العاص بغزوهم فسار إليها في أربعة آلاف، فهزم الرّومَ وأعاد فتح طبرية

(1) : فتوح البلدان 159- 160 تاريخ الطبري630/2 غزوات ابن حبيش 219/1 الكامل 431/2 .

وثبّت شروط صلح أهلها مع شرحبيل بن حسنة، وقيل إن شرحبيل فتحها ثانية[1].

ويبدو أن هذه الأمداد الرّومانية وصلت من قيسارية التي حشد فيها هرقل جيشاً عظيماً وأمره أن يحفظ عكا وطبرية. ويدلنا على ذلك ماروا‌ه الواقدي: (واتصلت الأخبار إلى الملك هرقل أن المسلمين قد فتحوا حمص والرّستن وشيزر، وقد أخذوا الهدية التي بعثها إلى هربيس البطريق فبلغ ذلك منه دون النّفس وأقام ينتظر الجيوش والعساكر من أقصى بلاد الرّوم لأنه قد كان كاتب كل من يحمل الصّليب فما مضى عليه إلا أيام قلائل حتَّى صار أوَّل جيوشه عنده بأنطاكية وآخرها في رومية الكبرى وأنه بعث جيشاً إلى قيسارية ساحل الشّام يكون حفظه على عكاء وطبرية وبعث بجيش آخر إلى بيت المقدس وأقام ينتظر قدوم ماهان الأرمني (أو باهان) ملك الأرمن، وقد جمع من الأرمن ما لا يجمعه أحد من أهالي الملك هرقل). [2]

وبالنّظر إلى الجوانب العسكرية في هذا الاتفاق عند فتح طبرية فإنه يتضح لنا أهمية طبرية في فتوح فلسطين فقد اتُخذت قاعدة إسناد عسكرية تنطلق منها الإمدادات.

(1) : فتوح البلدان 160 معجم البلدان (طبرية)17/4.
(2) : فتوح الشّام 134.

ولم يكن غريباً بعد ذلك أن يستوطنها القائد العام وأمير الجيوش أبو عبيدة بن الجراح ويتخذها مركزاً من مراكز قيادته [1] لكونها كما يقول ابن إسحاق: (في وسط البلاد وهي قريبة من الأردن والشّام والسّواحل) [2] بل إنها صارت مركز إمداد لشرقي الشّام والعراق أيضاً حيث أمر الخليفة عمر أبا عبيدة بينما كان هناك بأن يسيّر عياض بن غنْم الأشعري على جيش يقدر عدده بثمانية آلاف لفتح الجزيرة[3] في الشّمال الشّرقي لسوريا الآن.

ومما يؤكد أهمية هذه المدينة والاستقرار الأمني والسّياسي فيها وجود دنانير إسلامية ضُربت فيها سنة 15 أو 16 هجرية، ولعله يكون أوَّل إجراء إسلامي في سك نقود على أرض فلسطين، ويبدو أن من بادر بفعل ذلك هو خالد بن الوليد، وجعلها على طراز الدّنانير البيزنطية بحيث ترك الصليب والتّاج والصّولجان على حاله – ثُمَّ تغيرت الصّورة عقب أعوام قلائل بوضع مصطلحات إسلامية -، وكتب خالد على أحد وجهي النّقد: خالد بالحروف اليونانية (xaaed) ومعها الأحرف (iy) bou ويرجح المستشرق الألماني ميلر أن هذه الحروف ترمز لكنية خالد بن الوليد (أبو سليمان)[4].

(1) : فتوح الشّام 330 .
(2) : فتوح الشّام 330 .
(3) : فتوح الشّام 348.
(4) : النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية 139.

فتح الجليل

بعد سقوط طبرية بيد المسلمين وهزيمة الرّومان في فحل بيسان سقطت قرى مرتفعات الجليل التي كانت تابعة لجند الأردن ففتح شرحبيل بن حسنة (صقورية)[1] وهي بلدة كبيرة على بوابات الجليل الأدنى إلى الشّمال الغربي من مدينة النّاصرة الآن(، وكانت صفورية إحدى أكبر وأهم مدينة في الجليل، وهي مدينة محصنة، ومقر لمقاطعة واسعة تضم معظم القسم الغربي من الجليل الأدنى: معلول ودبورية والنّاصرة وجبل طابور وعرابة البطوف وساجور ومجد الكروم وكابول وشفا عمرو) .

ويبدو أنها نقضت صلحها الأول مع شرحبيل كما فعلت مدينة طبرية فقدم إليها عمرو بن العاص فأعاد فتحها بغير قتال كما نفهم من هذه الرّواية (فسير إليهم أبو عبيدة عمرَو بن العاص في أربعة آلاف ففتحها (أي طبرية) على مثل صلح شرحبيل وكذلك جميع مدُن الأردن وحصونها على هذا الصّلح فتحاً يسيراً لغير قتال ففتح بيسان وأفيق وجَرَشَ وبيتَ رأس وقدَس والجولان وعكا وصور وصفورية وغلب على سواد الأردن وجميع أرضها)[2].

و(قدَس) المذكورة في هذه الرّواية قرية فلسطينية تقع الآن على الحدود الفلسطينية اللبنانية وتبعد عن صفد 16 كلم وعن بحيرة

---

(1) : فتوح البلدان 160 .
(2) : فتوح البلدان 160 معجم البلدان (الأردن)148/1.

الحولة 6 كلم[1]، يقول عنها اليعقوبي إنها من أجلّ كور جند الأردن[2] في إشارة إلى كبرها وأهميتها .

وهذا النّص واضح في أن منطقة الجليل الواقعة في شمال فلسطين كانت مشمولة بهذه الدّائرة الواسعة من الفتوح، مما يعني أن منطقة الجليل تم افتتاحها في مرحلة مبكرة من فتوح فلسطين.

ونكاد نجزم أن الجليل فتحت بالكامل بعد معركة فحل بيسان حيث إنها تُعتبر جزءً من (جند الأردن)وقد بيّنا سابقاً في تفاصيل معركة (فحل بيسان) كيف قام أحد قادة الرّوم المعروف باسم(ابن الجعيد) - والذي سيكون له ذكر في فتح إيلياء وسيكون القائد الذي سيقابل الخليفة عمر في دخوله لبيت المقدس حسب إحدى الرّوايات - بمصالحة أبي عبيدة على سواد (الأردن) - أي ريف الأردن - الذي يشمل مناطق الجليل الآن والشّمال الغربي لبلاد الأردن الحالية.

وأوضحنا أيضاً أن أهل (فحل) الذين كانوا في الحصون عندما رأوا أهل الأردن قد صالحوا أبا عبيدة سألوه الصّلح على أن ألا يقتلوهم وأن يأمنوا على أنفسهم وأن يؤدوا الجزية، ومن كان منهم من الرّوم أن يلحق بالرّوم ويخلي بلاد الأردن ومن أحب منهم المقام أدى الجزية.

---

(1) : بلادنا فلسطين 224/6.
(2) : البلدان لليعقوبي 165.

أما من لم يكن في الحصون ممن كان في الأرض والقرى فقد أخذت منهم الأرض عنوة بغير صلح، وأقرهم الخليفة عمر على أرضهم بعد ذلك بعد أن استفتاه أبو عبيدة بشأنهم لأنهم أعلم بأرضهم وأقوى عليها من غيرهم.

فتح بيت لحم

تبعد بيت لحم بضعة كيلومترات إلى الجنوب من مدينة القدس بين مدينتي القدس والخليل، وما جرى مع القدس من صلح جرى مع بيت لحم كما يبدو لأنها من القدس كما ذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه (البناء الجليل في حكم الخليل)[1].

وتحكي المصادر المتأخرة أن الخليفة عمر زار بيت لحم وصلى فيها ويزعم بعضهم أنه صلى في كنيسة المهد ودشّن مسجداً يعرف باسمه إلى اليوم إلا أن ذلك لم يثبت عندي رغم اشتهاره وشيوعه من مصادر قديمة تاريخية أو حديثية وتحكي المصادر المتأخرة أنه (لما ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البيت المقدس أتاه راهب من بيت لحم فقال له: معي منك أمان على بيت لحم ! فقال له عمر: ما أعلم ذلك ! فأظهره وعرفه عمر. فقال له: الأمان صحيح ولكن لا بد في كل موضع للنصارى أن نجعل فيه مسجداً فقال الرّاهب: إن ببيت لحم حنية مبنية على قبلتكم فاجعلها مسجداً للمسلمين ولا تهدم الكنيسة فعفا له عن الكنيسة وصلى إلى تلك الحنية واتخذها مسجداً وجعل على النّصارى إسراجها وعمارتَها وتنظيفها.

ولم يزل المسلمون يزورون بيت لحم ويقصدون إلى تلك الحنية ويصلون فيها وينقُلُ خلفهم عن سلفهم إنها حنية عمر بن

(1) : مخطوطة محفوظة ضمن مخطوطات مكتبة الأزهر صفحة 9.

الخطاب وهي معروفة إلى الآن لم يغيرها الفرنج لما ملكوا البلاد ويقال: إن فيها قبر داود وسليمان عليهما السّلام)[1].

ولا يزال في قرية (ارطاس) الواقعة إلى الجنوب الغربي من بيت لحم على مسافة 4 كلم منها إلى يومنا معبد أقيم على أنقاض المسجد القديم الذي بُني كمقام للخليفة عمر أثناء زيارته لبيت لحم، ولم أقف على ما يثبت ذلك.وأقدم ذكر لبيت لحم في تاريخنا الإسلامي كان في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيت لحم قبل وصوله إلى المسجد الأقصى في رحلة الإسراء[2] وفي المرويات التي حكت عن إسلام تميم بن أوس الدّاري وطلبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهب له قريته من بيت لحم فكتب له كتباً بذلك ، فلما استخلف عمر وظهر على الشّام أعطاه ما أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم له[3]. ولكن معظم الرّوايات تتحدث عن (حبرى) و(بيت عينون) من أرض الخليل كما سنبين.

ومما يشير إلى الاستقرار الأمني في بيت لحم ووقوعها تحت السّيطرة الإسلامية أن رسول الخليفة عمر عرفجة بن مازن إلى أبي عبيدة الذي كان آنذاك في طريقه إلى طبرية، وصل إلى طبرية عن طريق بيت لحم حيث لقي هناك ركباً من أهالي وادي القرى الواقع إلى الشّمال من المدينة المنورة فأخبروه بوجهة أبي عبيدة، وكان يحمل رسالة عمر المتضمنة جملة توجيهات تربوية دينية وفيها

(1) : معجم البلدان (بيت لحم) 521/1.
(2) : تاريخ الإسلام (السيرة النبوية)242 الكامل 52/2.
(3) : تاريخ دمشق 64/11 .

الأمر بالمسير إلى مصر وأن يجعل على الجيش المتجه إلى مصر عمرو بن العاص[1].

فتح الخليل

تقع الخليل جنوب مدينة القدس على بعد 36 كلم منها.

ولم نقف على نصوص تاريخية تبين لنا كيفية فتحها لكن قربها الشّديد من موقع معركة أجنادين إلى الشّرق منها، وقربها من مدينة القدس يجعلنا نرجّح أنها سقطت بيد المسلمين قبيل أجنادين أو عُقيبها بقليل، ولم تتحدث المصادر عن وجود جيوش رومانية متمركزة فيها، ولعل ذلك كونها مدينة مقدسة عند اليهود الذي كانوا على عدم وفاق مع النّصارى الرّومان، ففيها أو فيما حولها من قرى قبر إبراهيم الخليل وقبورسارة زوج إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويونس ولوط ويوسف وعدد آخر من أنبياء بني إسرائيل.

وأقدم ذكر في التّاريخ الإسلامي لهذه المدينة يرجع إلى قدوم وفد من بني الدّار اللخميين من هذه المنطقة إلى النّبي صلى الله عليه وسلم في المدينة منصرَفه من تبوك (قال تميم الدّاري، وهو تميم بن أوس، رجلٌ من لخم، فقال: يا رسول الله إن لي جيرةً من الرّوم بفلسطين لهم قرية يقال لها حبرى، وأخرى يقال لها بيت عينون، فإن فتح الله عليك الشّام فهبهما لي، قال:(هما لك).

(1) : فتوح الشّام 300.

قال: فاكتب لي بذلك كتاباً، فكتب فيه: (بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذا كتابٌ من محمدٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم بن أوس الدّاري، أن له قرية حبرى وبيت عينون، قريتها كلها سهلها وجبلها وماؤها وحرثها، وأنباطها وبقرها، ولعقبه من بعده، لا يحاقه فيها أحد، ولا يلجه عليهم أحدٌ بظلم، فمن ظلمهم أو أخذ من أحدٍ منهم شيئاً فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين. وكتب عليٌّ).

فلما ولي أبو بكر كتب لهم كتاباً نسخته: هذا كتابٌ من أبي بكر أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي استخلف في الأرض بعده، كتبه للداريين، أن لا يفسد عليهم مأثرتهم قرية حبرى وبيت عينون، لمن كان يسمع ويطيع، فلا يفسد منها شيئاً، وليقم عمرو بن العاص عليهما فليمنعهما من المفسدين.وعن محمد بن سيرين، عن تميم الدّاري قال: استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً بالشّام قبل أن تفتح، فأعطانيها، ففتحها عمر بن الخطاب في زمانه، فأتيته فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني أرضاً من كذا إلى كذا، فجعل عمر ثلثها لابن السّبيل، وثلثها لعمارتها، وترك لنا ثلثاً)[1].

وفي هذا الخبر مرويات كثيرة صنفت فيها كتب عدة لا يزال بعضها مخطوطاً مثل :

(1) : انظر تفاصيل المرويات واختلافها في تاريخ دمشق 64/11 صبح الأعشى 125/13-129 وقد استقصاها ابن حجر بأسانيدها في مخطوطة البناء الجليل.

1. البناء الجليل بحكم بلد الخليل لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ولديّ نسخة مصورة عن هذه المخطوطة المحفوظة في مكتبة الأزهر،وقد ذكرها ابن حجر العسقلاني في الإصابة[1] في ترجمة أبي هند البياضي.
2. الضّوء السّاري لمعرفة خبر تميم الدّاري للمقريزي، ومخطوطته في باريس .
3. الفضل العميم في إقطاع بني تميم لجلال الدّين السّيوطي ومخطوطاته في الهند ومصر.

و(حَبْرون) على زنة زيتون و(حَبْرَى) تقع الآن على تلة (الرّميدة) شمال غرب الخليل الآن، وهي الاسم العبراني المستخدم لدى اليهود في يومنا هذا في تسمية مدينة (الخليل) التي شاع اسمها هذا بعد الفتح العربي الإسلامي لها، ويؤكد ذلك بعض روايات نص الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين (هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الدّاري وإخوته حبرون ومرطوم وبيت إبراهيم).

فأما بيت إبراهيم فهو على سفح جبل الرّأس المقابل لجبل الرميدة عند المغارة التي يقولون إن سارة زوجة إبراهيم الخليل مدفونة فيها وهو ما يسمى اليوم الحرم الإبراهيمي في البلدة القديمة من الخليل اليوم، وأما (بيت عينون) فهي قرية معروفة إلى اليوم تقع إلى الشّمال الشّرقي من الخليل على بعد 5 كلم عنها.

(1) : الإصابة 364/7.

وأما (مرطوم) فالأغلب أنها تقع في (رامة الخليل) على بعد 3كلم إلى الشّمال من الخليل.

وقد تم تصديق هذه الإقطاعات للداريين في الخليل أيام العثمانيين فقد جرى مسح للأراضي الوقفية المذكورة في بداية العهد العثماني في فلسطين فوجدت من الحرمة و الخصوصية التي راعتها فرمانات سلاطين آل عثمان ما فاق سواها من الأوقاف، و تم اعتبارها وقفاً نبوياً في دفاتر تحرير الطّابو بعد أخذ رقعة الإنطاء النّبوي و السّجلات الأخرى الخاصة بعين الاعتبار. و ما زال القيد المتعلق بها موجوداً في دائرة الأرشيف العثماني إلى اليوم بين دفتي الدّفتر رقم 522 المؤرخ في عام 980 هـ/ 1572م في عهد الخليفة سليمان القانوني. و ينص على ما يلي:

(وقف سيد المرسلين و حبيب رب العالمين سيد العرب و العجم إمام المكة و الحرم محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن عبد مناف بن هاشم عليه أفضل الصّلوة و أكمل التّحيات على تميم الدّاري الأنصاري رضي الله عنه و أولاده و أولادهم و ذريتهم و أنسابهم و أعقابهم بموجب الإنطاي الشّريف و بموجب دفتر أوقاف علي بك:

قرية بيت عينون تابع خليل الرّحمن تماماً.

أرض (مدينة) خليل الرّحمن تعرف بحبرون وصرا و بيت إبراهيم تماماً.

مزرعة مرطون الآن تعرف (بالرّامة) تابع خليل الرّحمن تماماً.

دكاكين في سوق مدينة خليل الرّحمن تعرف بوقف تميم في أرض عليه (الآن) 65 باب[1].

ويبدو أن الأرض التي أقطعها النّبي صلى الله عليه وسلم للداريين كانت واسعة بحيث شملت كل تلك الأراضي التي يظهر أنه امتدت أيضاً إلى حدود بيت لحم نظراً لقرب هاتين المدينتين عن بعضهما (بيت لحم والخليل) ويبدو أن بعض المناطق الحدودية في هاتين المدينتين قديماً كانت تُنسَب إلى هذه المدينة تارة وإلى تلك المدينة تارة أخرى.

ويبدو لي أيضاً أن هذه المنطقة لم تكن ذات قيمة عسكرية أو مدنية كبيرة للرومان فلم يكن لهم فيها وجود معتبر، بدليل أن الدّاريين استسهلوا طلب هذه المناطق من النّبي صلى الله عليه وسلم بينما استصعبوا طلب إقطاعات لهم في (إيلياء) كما في روايات هذا الحديث، ويظهر أيضاً أن معظم سكانها كانوا من العرب القاطنين فيها قديماً قبل الإسلام ويؤكد ذلك أن الدّاريين اللخميين وفدوا منها إلى النّبي صلى الله عليه وسلم عام تسع للهجرة، كما تشير كتب التّاريخ إلى وجود عربي كبير لقبائل لخم وجذام وقضاعة في هذه المناطق قديماً.

---

(1) : نقلت هذا الفرمان عن الجمعية الدولية للمترجمين العرب من ترجمة الأستاذ أحمد آق كوندوز . www.arabicwata.com

ويُلاحظ في هذا الإقطاع النّبوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع هؤلاء القوم أرضاً ليست في حوزته وهو أمر أحدث جدالاً فقهياً عريضاً كُتبت من أجله كتب ودراسات كبعض ما ذكرناه، وأرجّح أن النّبي صلى الله عليه وسلم كان يهدف إلى استمالة القبائل العربية القاطنة في فلسطين إليه، وإغرائهم بغنائم يمكنهم اجتناؤها إذا تحالفوا معه في وقتٍ كانت بعوثه العسكرية تنشط على تخوم الشّام ولاسيما بعد معركة اليرموك بل وتُوغل في فلسطين كما أوضحنا سابقاً.

فتح بيت جبرين

بيت جبرين بلدة قديمة تقع إلى الشّمال الغربي من مدينة الخليل على بعد 21 كلم منها فتحها عمرو بن العاص في خلافة أبي بكر[1]، ولا ندري إن كان ذلك قبل أجنادين أو بعدها، وأغلب الظّن أنها كانت بعد أجنادين وقبيل فتح بيت المقدس، إذ إنها قريبة جدا من موقع معركة أجنادين حيث يقع موقع المعركة بينها وبين الرّملة[2] كما أن عمرو بن العاص اتخذ بها ضيعة سماها (عجلان) على اسم مولى له يبدو أنه تولى إدارتها والإشراف عليها، واتخاذُ الضّياع دليل على شعور باستقرار ولا يتأتَّى ذلك إلا بطهارة المنطقة من وجود الأعداء مما يجعلنا نرجح أن فتح بيت جبرين كان بعد أجنادين.

(1) : فتوح البلدان 188.
(2) : الكامل 417/2.

ولـم تتضـح لنـا الخصوصـية فـي (بيـت جبـرين) علـى وجـه التّحقيق حتَّى يذكرها المؤرخون مع المدن المفتوحة، ويبدو أن ثمـة حصناً كبيراً بها ويؤيد هذا ما ذكره ياقوت أن بها حصناً بين بيت المقدس وعسقلان[1].

و يظهر لي أنها لم تكن مجرَّد بلدة آنذاك بل كانت مدينـة و قاعدة عسكرية كبيرة بدليل هذا الحصن، ويؤيد ذلك ما ورد في إحدى مرويات قصة الدّاريين الذنن أقطعهم النّبي صلى الله عليه وسلم بعضاً من أراضي تلك المنطقة أنهم استعظموا أن يسألوا النّبي صلى الله عليه وسلم بيت جبرين وكورتها، واعتبروا هذه المنطقة أكبر من كورة بيت المقدس : (عن أبي هند الدّاري قال قدمنا على رسول الله ونحن ستة نفر تميم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه ويزيد بن قيس وأبو هند بن عبد الله وهو صاحب الحديث وأخوه الطّيب بن عبد الله فسماه رسول الله عبد الرّحمن وفاكه بن النّعمان فأسلمنا وسألنا رسول الله أن يقطعنا من أرض الشّام. فقال رسول الله: سلو حيث شئتم فقال تميم: أرى أن نسأله بيت المقدس وكورها فقال أبو هند وكذلك يكون فيها ملك العرب وأخاف أن لا يتم لنا هذا فقال تميم فنسأله بيت حبرين وكورتها فقال أبو هند: هذا أكبر وأكبر فقال فأين فقال أرى أن نسأله القرى التي يقع فيها حصن تل مع آثار إبراهيم فقال تميم أصبت ووفقت ...).[2]

(1) : معجم البلدان (بيت جبرين)616/1.
(2) : تاريخ دمشق 65/11 .

وكانت بيت جبرين مدينة من منازل قبيلة جذام العربية[1] التي كانت متحالفة مع الرّوم، ويؤيد هذا أن وفد الدّاريين الذين قدموا إلى النّبي صلى الله عليه وسلم من جذام وهم من أهل هذه المنطقة كما سنبين.

فتح الرّملة

تقع الرّملة في منتصف السّهل السّاحلي الفلسطيني وهي تقع في مفترق طرق يربط جهات فلسطين الأربعة ببعضها، وتصل القدس وجبال وسط فلسطين وهضابها بمدن السّاحل الفلسطيني في سهل رملي منبسط فسيح ، وتقع إلى الجنوب الغربي من مدينة اللد على بُعد 5 كلم منها،ولا تكاد تُذكر الرّملة إلا وتذكر معها مدينة اللد.

وقعت الرّملة تحت السّيطرة العسكرية الإسلامية عقب معركة أجنادين التي قادها عمرو بن العاص، وكان عمرو قد أرسل جيشاً أثناء معركة أجنادين بقيادة أبي أيوب المالكي الكناني إلى الرّملة بقيادة (تذارق) لقطع الطّريق على الحامية الرّومانية فيها ومنعها من مباغتة المسلمين أو إعانة الأرطبون[2] ولم يذهب عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة إلى الاجتماع بالخليفة عمر في الجابية قبل فتح بيت المقدس إلا بعد أن صالحوا أهل الرّملة[3] ثُمَّ سارع أهلها إلى عقد الصّلح مع الخليفة عمر في الجابية هم وأهل إيلياء[4].

(1) : البلدان لليعقوبي 167.
(2) : تاريخ الطبري102/3 البداية والنهاية 53/7 الكامل 498/2.
(3) : البداية والنهاية 56/7.
(4) : تاريخ الطبري104/3.

ثُمَّ جعل الخليفة عمر على الرّملة علقمة بن حكيم الفراسي وهو قائد عسكري عقب فتح إيلياء[1].

وتشير إحدى المرويات أن الخليفة عمر لمّا فتح بيت المقدس أراد زيارة مدن السّاحل غزة وميماس وعسقلان فنزل برملة لد (أي الرّملة) ومعه عدد من الرّهبان النّصارى من بيت المقدس واللد فأخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى هناك في رحلة الإسراء وأشار إلى وجود قبور سبعين نبياً فيها، وعن البشارة النّبوية بفتحها[2].

ويبدو أن الوضع لم يستقر في الرّملة إذ تشير المرويات التّاريخية أن أهل الرّملة عقدوا صلحاً مع المسلمين لمّا تسامعوا بفتح ميناء قيسارية الذي يعتبر آخر المعاقل الرّومانية الضّخمة في فلسطين[3].

ويؤيد ذلك ما ذكره ابن حِبّان أن معاوية فتح الرّملة وقيسارية سنة 19 هـ فأقره الخليفة عمر عليهما[4].

ويبدو أن الرّملة تحولت مع مدينة غزة إلى قاعدة استخبارية سبقت تحركات عمرو بن العاص إلى فتوح مصر فقد استعان عمرو ببعض أهلها العارفين بلغة القبط للتجسس على الأقباط في

(1) : تاريخ الطبري105/3 الكامل 501/2 الإصابة 105/5 193/4.
(2) : الروض المعطار (لد) 510 .
(3) : فتوح الشّام 299.
(4) : الثقات لابن حبان 219/2.

الإسكندرية وحملوا أيضاً رسائل إليهم وتشير المصادر إلى أن أحدهم اسمه (وردان) [1]

كما أن القوات المصرية المدافعة عن البلاد المصرية ضد الجيش الإسلامي الذي بدأت تتكامل له فتوح مصر عرفت القيمة العسكرية للرملة فوجّهوا لأولى الجماعات العربية المسلمة المهاجرة إلى ساحل الرّملة ضربة عسكرية ليلية عنيفة من أسطولهم البحري وبقيادة ابن المقوقس في الإسكندرية قتلوا منهم الكثير وأسروا الكثير قرابة الألف ومائة ومنهم ضرار بن الأزور وأخته خولة.

وكان أبو عبيدة قد أمر طائفة من قبيلة دَوْس وبَجِيلة أن يسكنوا تلك المنطقة لأجل كثرة المرعى بعد أن أزاحوا عنها الرّوم تماماً[2].

وهذا الاستيطان البشري العربي على ساحل الرّملة في السّنة 19 هـ يشير إلى بداية حياة الاستقرر المدني للقبائل العربية القادمة من اليمن والجزيرة العربية حيث جاؤوا بأهلهم وأنعامهم وبدءوا ممارسة مهنة الرّعي.

(1) : فتوح الشّام 312.
(2) : فتوح الشّام 329.

فتح اللد

تقع اللد إلى الجنوب الشّرقي من مدينة يافا السّاحلية على مسافة 21 كلم وهي قريبة جداً من الرّملة كما أسلفنا.

وقيل إن عمرو بن العاص فتحها في خلافة أبي بكر بعد معركة أجنادين عام 13 هـ وعقب فتح نابلس [1]

وكانت اللد أثناء الفتح هي المدينة الكبيرة بجوار الرّملة وكانت تُربط المدينتان ببعضهما رغم أن المصادر التّاريخية الإسلامية تذكر أن الرّملة مصّرها سليمان بن عبد الملك ولم تكن مدينة قبل ذلك، وهو ما ينافي المرويات التّاريخية عن فتوح للرملة ووجود نشاط عسكري فيها، لكن من الظّاهر أن اللد كانت هي المدينة المركزية وأن الرّملة تابعة لها.

ويؤكد ذلك أن الخليفة عمر كتب لهم كتاباً خاصاً كما كتب لأهل إيلياء وجعل كتابه إلى أهل اللد نموذجاً لكتبه إلى المدن الفلسطينية الأخرى:

(بسم الله الرّحمن الرّحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم ؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا مللها، ولا من صلبهم ولا من أموالهم، ولا يكرهون

(1) : **فتوح البلدان 188. الكامل 499/2.**

على دينهم ؛ ولا يضار أحد منهم؛ وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل مدائن الشّأم، وعليهم إن خرجوا مثل ذلك الشّرط إلى آخره)[1].

ويتضح في هذا الكتاب سياسة الخليفة عمر في إشاعة الطّمأنينة لدى السّكان النّصارى في فلسطين بضمان حرية الاعتقاد والعبادة وسيادة قيم العدل والتّسامح من جانب الجهة القوية الحاكمة لهذه البلاد.

فتح يافا

يعدّ ميناء يافا ميناء فلسطين الأول من حيث القدم والأهمية التّجارية والاقتصادية والعسكرية، وتقع يافا على شاطئ البحر المتوسط على بعد 60 كلم إلى الشّمال الغربي من مدينة القدس.

فتحها عمرو بن العاص في خلافة الصّديق بعد أجنادين وقيل إن فاتحها هو معاوية بن أبي سفيان [2]

ولا توجد تفاصيل عن هذا الفتح أو كيفيته أو عن أهمية هذه المدينة لدى الرّومان وتشير المصادر إلى أهمية ميناء قيسارية الذي يقع إلى الجنوب منها كمرفأ مهم.

(1) : تاريخ الطبري105/3 البداية والنهاية 56/7 .
(2) : الكامل 499/2 فتوح البلدان 188.

كما أن المعلومات نادرة جدا عن المدينة زمن هذه الفتوحات ويمكننا الاستخلاص بأن عمرو بن العاص فتح المدينة بعد معركة أجنادين نظراً لقربها من أجنادين والرّملة واللد.

وبالقياس إلى مدن فلسطينية أخرى فُتحت ثُمَّ تمردت يمكن القول إن يافا عادت إلى الرّومان بعد فتحها مما اضطر معاوية بن أبي سفيان الذي تولى فتح قيسارية أن يهاجمها مراراً خلال السّنوات التي قضاها في فتح قيسارية كما سيأتي.

ويزعم أهالي قرية(سَلَمة) شرق يافا أن الصّحابي سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي استشهد فيها ودفن على أراضيها، والمشهور أنه استشهد بمرج الصّفر، وجزم آخرون أنه استشهد بأجنادين [1] وإذا صح نقل أهل سلمة وما تواتر عندهم بشأنه ولاسيما أن القرية سميت باسمه فهذا يرجح أن يافا فتحت بعد أجنادين مباشرة وأن عمرو بن العاص سلك الطّريق السّاحلية للوصول إلى فحل بيسان في الشّمال الشّرقي نظراً لأن إيلياء وشمال فلسطين لا تزال خارجة عن السّيطرة الإسلامية بسبب الوجود العسكري الرّوماني الكبير فيها إذ لم تكن مفتوحة بعد، ويرجح هذا أن أهالي قرية (يازور) القريبة ينقلون عن أجدادهم أن منطقتهم شهدت فتوحات كبيرة لعمرو بن العاص حتَّى إن مدينتهم سميت

(1) : الإصابة 131/3.

قديماً (بلاد الفتوح)[1]، إلا أنني أرجّح أن تكون هذه التّسمية عائدة إلى أيام حروب المماليك مع الصّليبيين في تلك المنطقة.

(1) : **بلادنا فلسطين303/4.**

فتح عكا

تقع عكا على ساحل البحر المتوسط إلى الشّمال الغربي من فلسطين، وهي مدينة بحرية قديمة تبعد قرابة 95 كلم عن القدس.

يذكر البلاذري أن شرحبيل بن حسنة فتح عكا وصور وصفورية[1] وليست لدينا معلومات عن ظروف هذا الفتح وكيفيته وهل جرى صلح فيه أم لا !.

وسبب ذلك أن أبا عبيدة وجّه عمرو بن العاص إلى سواحل الأردن(السّواحل الشّمالية لفلسطين) فكثر به الرّوم وجاءهم المدد من هرقل وهو بالقسطنطينية، فكتب عمرو إلى أبي عبيدة يستمدّه فوجه إليه أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان فافتتحاها، وأبلى معاوية بن أبي سفيان في ذلك بلاء حسناً[2].

ويبدو أن المدينة لم ينعقد فيها صلح بعد فتحها من طرف شرحبيل ويرجَّح أنها عادت إلى السّيطرة الرّومانية بعد هذا الفتح، ويؤيد هذا أن عدداً من المدن الكبرى كنابلس وعكا وعسقلان وطبرية سارعوا إلى عقد صلح معه بعد فتح قيسارية واستسلامها وعقد الصّلح معها في رجب عام 19 هـ[3].

ويمكن الاستنتاج أن عكا عادت إلى السّيطرة الرّومانية بعد الفتح الأول لها بيد عمرو عندما أرسل هرقل جيشاً عظيماً إلى

---

(1) : **فتوح البلدان160.**
(2) : **فتوح البلدان 160.**
(3) : **فتوح الشّام 299.**

قيسارية وجعل من مهماته حفظ عكا (قال الواقدي: واتصلت الأخبار إلى الملك هرقل أن المسلمين قد فتحوا حمص والرّستن وشيزر، وقد أخذوا الهدية التي بعثها إلى هربيس البطريق فبلغ ذلك منه دون النّفس وأقام ينتظر الجيوش والعساكر من أقصى بلاد الرّوم لأنه قد كان كاتب كل من يحمل الصّليب فما مضى عليه إلا أيام قلائل حتَّى صار أوَّل جيوشه عنده بأنطاكية وآخرها في رومية الكبرى وأنه بعث جيشاً إلى قيسارية ساحل الشّام يكون حفظه على عكاء وطبرية وبعث بجيش آخر إلى بيت المقدس وأقام ينتظر قوم ماهان الأرمني ملك الأرمن، وقد جمع من الأرمن ما لا يجمعه أحد من أهالي الملك هرقل).[1]

كما سنرى عند الحديث عن فتح قيسارية أن أبا عبيدة عامر بن الجراح كتب إلى عمرو بن العاص بعد انتصاره على الرّوم في (نخل) قرب قيسارية أنه سيتجه بجيشه نحو عكا وصور وطرابلس[2] وسيكون لعكا دور كبير أيام خلافة معاوية بعد تحويلها إلى مركز لصناعة السّفن الحربية وصيانتها وسيكون لها دور كبير مع قيسارية في فتح جزائر البحر المتوسط ولاسيما قبرص.

فتح قيْساريّة

تقع قيسارية اليوم بين مدينتي حيفا ويافا السّاحليتين، وتبعد عن حيفا 37 كلم إلى الجنوب منها، (وكانت قديماً من أعيان أمهات

(1) : فتوح الشّام 134.
(2) : فتوح الشّام 293.

المدن واسعة الرّقعة طيبة البقعة كثيرة الخير والأهل، وأما الآن فليست كذلك، وهي بالقُرَى أشبه منها بالمدن) [1] ، وهذا التّوضيح من ياقوت الحموي مفيد في بيان أهمية هذه المدينة قديماً، كما أنها كانت الميناء الرّئيس الذي يمد جيوش الرّوم بالسّلاح والعتاد والرّجال في فلسطين خاصة.

قال ابن جرير: (وفي هذه السّنة (15 هـ) أمر عمر معاوية بن أبي سفيان على قيسارية وكتب إليه:

أما بعد: فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النّصير. فسار إليها، فحاصرها وزاحفه أهلها مرات عديدة) [2]

وقد كان الخليفة عمر حريصاً على فتح هذا الميناء نظراً لدوره الاستراتيجي، ويتضح لنا من رسالة الخليفة عمر إلى يزيد التي أوردها الأزدي بأطول مما رُوي في روايات أخرى التّقديرُ الاستراتيجي لهذه المدينة عند رأس الدّولة: (لا ينبغي افتتاح ما افتتحتم من أرض الشّام مع مقام أهل قيسارية فيها، وهم عدوكم إلى جانبكم، وإنه لا يزال قيصر طامعاً في الشّام ما بقي فيها أحد من أهل طاعته متّبعاً، ولو قد افتتحتموها قطع الله رجاءه من جميع الشّام)[3].

---

(1) : معجم البلدان (قيسارية) 421/4.
(2) : تاريخ الطبري100/3 البداية والنهاية 52/7 نقلاً عن ابن جرير الكامل 497/2 وانظر فتوح البلدان 190.
(3) : تاريخ فتوح الشّام 278.

وجملة الطّبري كانت دقيقة جداً عندما قال (وزاحفه أهلها مرات عديدة) إذ تدل عبارته على وقوع معارك عديدة لهذه المدينة دامت سبع سنين إلا أشهراً [1] ولم تكن المعارك حاسمة رغم وقوع انتصارات عديدة للمسلمين مما جعل المؤرخين والرّواة يختلفون جداً في تحديد سنة فتحها فمنهم من قال 15هـ ومنهم من قال 16 هـ ومنهم من قال 17 ومنهم من قال 19 ومنهم من قال 20 . [2]

وكما اختلفوا في تاريخها فقد اختلفوا في فاتحها فقال بعضهم: فتحها معاوية، وقال آخرون: فتحها يزيد بن أبي سفيان، وقال آخرون : عياض بن غنْم بعد وفاة أبي عبيدة [3]وذكر ابن عبد ربه عن ابن الكلبي أن عمرو بن العاص فتحها ثُمَّ سار حتَّى نزل غزة [4]، ويقول البلاذري إن عمرو بن العاص حاصر قيسارية بعد اليرموك ثُمَّ استخلف عليها ابنه عبد الله - وهو صحابي جليل- حين ولي يزيد بن أبي سفيان ومضى إلى مصر[5].

وينقل البلاذري عن إجماع العلماء أن أوَّل من حاصر قيسارية هو عمرو بن العاص نزل عليها في جمادى الأولى عام 13 هـ فكان يقيم على قيسارية ما أقام فإذا كان للمسلمين اجتماع في أمر عدوهم سار إليهم فشهد أجنادين وفحل ومرج الصّفر ودمشق واليرموك ثُمَّ عاد إلى فلسطين فحاصر قيسارية بعد إيلياء ثُمَّ خرج إلى مصر من قيسارية، ولمّا تولى يزيد بن أبي سفيان إمارة الجيوش بعد أبي

(1) : فتوح البلدان 192 الأموال لأبي عبيد 121.
(2) : راجع: فتوح البلدان 194 البداية والنهاية 94/7 الكامل 2/563 المنتظم 291/4 .
(3) : فتوح البلدان 191 البداية والنهاية 94/7 .
(4) : العقد الفريد 145/1.
(5) : فتوح البلدان 298.

عبيدة وجّه أخاه معاوية لمحاصرتها[1]. لكن هذه الرّواية التي نقل الإجماع عليها كانت هي رواية الواقدي كما يقول البلاذري نفسه وقد نقل هو أن آخرين نقلوا وجهاً آخر في فتحها [2]كما أن للواقدي روايات متضاربة في فتوح الشّام.

وتحقيق الأمر عندي أن بدء أمرها كان أن الخليفة عمر أمر يزيد بن أبي سفيان عقب فتح بيت المقدس أن يحارب أهل قيسارية[3] ثُمَّ كتب إلى يزيد أن يرسل معاوية إلى قيسارية، كما كتب الخليفةُ إلى معاوية بإمرته على ذلك الجيش[4] وقد أشرنا سابقاً أن الخليفة عمر لمّا اجتمع عسكر الرّوم بأجنادين كتب إلى يزيد بن أبي سفيان ليكون في ظهورهم، وكتب إلى عمرو بن العاص يصدم الأرطبون في أجنادين وكتب إلى علقمة يصدم الفيقار في غزة وسرّح معاوية إلى قيسارية ليشاغل الرّومان عن نصرة جيشهم في أجنادين[5].

وبعد هزيمة الرّوم في أجنادين توجه الكثير من المنهزمين إلى إيلياء ودمشق وقيسارية [6].

وكانت قيادة المسلمين تدرك ضخامة الحشود الرّومانية في قيسارية فأمر يزيد بن أبي سفيان جميع أجناد الشّام أن يرسلوا رجلاً

---

(1) : فتوح البلدان 191.
(2) : فتوح البلدان 191.
(3) : فتوح الشّام 210.
(4) : تاريخ الطبري3/100 الكامل 2/497.
(5) : وانظر غزوات ابن حبيش 1/313.
(6) : غزوات ابن حبيش1/199.

من كل ثلاثة رجال عندهم – أي ثلث كل جيش- حتَّى اكتمل له جيش كبير[1].

وأمر يزيد بن أبي سفيان في بداية تولّيه قيادة فتح قيسارية حبيب بن مسلمة أن يكون على مقدمة الجيش، وجهزه وأخبره أنه سيلحق به فتقاتل حبيب مع الرّومان بعنف حتَّى انكسر وانحدر إلى يزيد الذي كان قد وصل إليه، فأعاد يزيد توزيع مهام قيادة الجيش لضمان فاعلية أكبر فجعل على ميمنة جيشه عبادة بن الصّامت وعلى الميسرة الضّحاك بن قيس وعلى الخيل حبيب بن مسلمة، وعلى الرّجال يزيد بن أبي سفيان نفسه[2].

واقتتل الفريقان قتالاً شديداً وظلت المعركة على كرّ وفرّ ومجالدة حتَّى قتل الآلاف من الفريقين، عند ذلك أمر يزيد أخاه معاوية أن يتولى محاصرة قيسارية ويقيم على قتال أهلها حتَّى يفتحها بأمر الخليفة عمر[3].

لقد كانت قيسارية حصناً عظيماً منيعاً، وكان المسلمون يردونهم غالباً إلى حصنهم في المواجهات، وكانت قيسارية من الأهمية بحيث كان قسطنطين ابن القيصر هرقل قائداً عليها ومعه (ثمانون ألفاً من الرّوم والعرب المتنصرة والرّوسية) [4] لكن قسطنطين استنجد بأبيه لمّا رأى نزول يزيد بن أبي سفيان عليه

(1) : تاريخ فتوح الشّام 276 غزوات ابن حبيش 324/1.
(2) : تاريخ فتوح الشّام 280-282 غزوات ابن حبيش 325/1.
(3) : تاريخ فتوح الشّام 283 غزوات ابن حبيش 327/1.
(4) : فتوح الشّام 211.

فبعث إليه هرقل بصاحب (مرعش) التي تقع على الحدود التّركية السّورية الآن ، وعشرين ألفاً من (الرّوسية) وأنفذ له المراكب بالزاد والمؤن فكتب يزيد إلى الخليفة عمر بذلك طالباً منه النّجدة والمدد وهذا نصها (بسم الله الرّحمن الرّحيم، من يزيد بن أبي سفيان العامل على بعض الشّام إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه إني نازلت أهل قيسارية وهي مدينة آهلة بالخلق كثيرة الجند وليس إليها سبيل وإن قسطنطين قد استنجد بأبيه وقد أنجده بصاحب مرعش وعشرين ألفاً والمراكب ترد عليه كل يوم بالعلوفة والزاد وأريد النّجدة والسّلام). وبعث الكتاب مع عمرو بن سالم بن حميد النّخعي فلما ورد المدينة وسلم الكتاب إلى عمر بن الخطاب. قال عمر: من أين هذا الكتاب. قال: مِن عاملك يزيد بن أبي سفيان فقرأه، فلما أتى على آخره تفكَّر في أمر يزيد وما وقع له حتَّى دخل عليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فأراه كتاب يزيد من قيسارية الشّام يطلب منه نجدة. فقال علي: لا تغتم على المسلمين فإن الله يفتحها على يديك رغماً فأنجد يزيد وأنفذ إليه الكتاب)[1].

ويشير الواقدي إلى أن عمرو بن العاص كان مع يزيد لما جاءه المدد من أبي عبيدة الذي أنفذ لهما ثلاثة آلاف فارس بأمر الخليفة عمر.[2]

(1) : فتوح الشّام 211.
(2) : فتوح الشّام 212.

كما يشير الواقدي إلى إحدى المعارك مع الرّوم بقيادة فلسطين بن هرقل في موضع يقال له (نخل) قرب قيسارية بينما بقيت (قيسارية) تحت مسؤولية (قسطاس) ومعه عشرة آلاف، وكان على الجيش عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة الذي كاد يُقتلُ لولا تدخّل طلحة بن خويلد الأسدي وشجاعته الذي قتل قائدهم (قيدمون) ويبدو أن الظّروف الجوية كانت بالغة السّوء حيث اشتد المطر والبرد ولحق بالمسلمين الأذى مما اضطر الجيش الإسلامي للعودة إلى الجابية لأنهم كانوا بلا أخبية ولا دور ولا خيام، وفي المقابل فإن الجيش الرّوماني بعد فقد قائده أصيب بهزيمة معنوية، يقول الواقدي:(وكان من رحمة الله بالمسلمين أن وقع في قلب (فلسطين) الفزع والرّعب لما قتل (قيدمون) البطريق وكان ركنه ودعامته فشاور أصحابه في الرّجوع إلى قيسارية وقال: يا معاشر الرّوم أنتم تعلمون أن جيوش اليرموك ما ثبتت لهؤلاء العرب، وإن أبي قد ولى إلى القسطنطينية من خوفهم وقد ملكوا الشّام جميعه وما بقي غير هذا الساحل وإني أخاف أن ندهي من قبلهم ويملكوا قيسارية والرّحيل أوفق من المقام ههنا فأجابوه إلى ذلك، فلما كان الليل ارتحل القوم والمطر ينزل. قال سعيد بن جابر الأوسي: وكان ذلك كله رحمة للمسلمين من الله عز وجل. قال: فلما كان في اليوم الرّابع ارتفع المطر وطلعت الشّمس فخرجنا من الجابية نطلب قتال الرّوم فلم نر لهم أثراً، فوالله لقد فرحنا بطلوع الشّمس أكثر من فرحنا برحيل الرّوم فكتب عمرو بذلك إلى أبي عبيدة كتاباً يقول فيه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم من عمرو بن العاص السهمي إلى أمير جيوش المسلمين أبي عبيدة عامر بن الجراح، سلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد فيا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن فلسطين بن هرقل قد أخرج إلى لقائنا ثمانين ألفاً من الرّوم وكان لقاؤنا معهم على موضع يقال له نخل وأخذ شرحبيل بن حسنة وكان الذي ملك أسره قيدمون ابن خالة هرقل، ثُمَّ خلصه الله على يد طلحة بن خويلد الأسدي وقتل قيدمون ابن خالة هرقل، ثُمَّ وجهته بكتاب إلى عمر بن الخطاب وقد انهزم عدو الله فلسطين، وأنا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته. وبعث الكتاب مع جابر بن سعيد الحضرمي، فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب فرح بسلامة المسلمين وسير الجواب وقال: إذا قرأت كتابي فانزل على قيسارية وأنا في أثر الكتاب معول على السير إلى صور وعكاء وطرابلس والسلام. ثُمَّ سلم الكتاب إلى جابر بن سعيد وأمره بالرّجوع) [1]

وظاهرٌ من العرض السابق تعدد أسماء القادة المكلفين بمهمات محددة في قيسارية في أوقات مختلفة أو مجتمعة.

ويذكر المؤرخون أن قيسارية كان عليها جيشان مرابطان في قبيل فتحها الكبير أحدهما بقيادة معاوية والآخر بقيادة سعيد بن عامر بن حِدّيَم الجُمَحي القرشي[2] وقد تولّى سعيد بن عامر إمارة

(1) : انظر: فتوح الشّام 290- 293.
(2) : تاريخ خليفة 134/1 .

قيسارية بعد فتحها ومات وهو أمير عليها سنة 19 هـ أو بعدها بعام أو عامين على خلاف في ذلك[1].

وكان الحصار شديداً مرهقاً وكان المسلمون يرمون على حصن قيسارية ستين منجنيقاً حتَّى فتح الله عليهم[2] وبلغ من شدة الأمر أن النّاس كانت تتحامى الإقدام على الثّغرات في هذا الحصن المنيع، وكان الخليفة عمر على دراية واتصال بتفاصيل المعركة الطّويلة الجارية حتَّى إنه أرسل إلى معاوية الذي أزعجه طول الحصار كما يبدو إلى معاوية أن يتولى اقتحام ثغرة فتحها المسلمون في هذا الحصن بنفسه فتناول معاوية لواء وأنهض النّاسَ وتبعوه، وركز لواءه في الثّغرة فقال: (أنا ابن عنبسة) أي ابن الأسد[3].

ولم تكن المعركة سهلة على المسلمين وظهر من قصة أسر الصّحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي في قيسارية حجم أسرى المسلمين في المعركة والتّعذيب الشّديد والقتل الذي لاقوه من الرّومان، وفي القصة يطلق حاكم قيسارية الرّوماني سراح 300 أسير مسلم نظير أن يقوم الصّحابي بتقبيل يده وسنذكر القصة بطولها في استعراضنا لبطولات فتح فلسطين[4].

وقد ظهر من أخبار فتحها حجم التّحصينات الدّفاعية والأمواج البشرية التي احتفظت بها هذه المدينة الساحلية الاستراتيجية حتَّى

---

(1) : التّبيين في أنساب القرشيين 189 الإصابة 94/3 .
(2) : السنن الكبرى للبيهقي (كتاب السير) باب قطع الشّجر وحرق المنازل 84/9.
(3) : الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم 381/1 .
(4) انظر: سير أعلام النبلاء11/2.

إن معاوية كاد ييأس من فتحه لولا حدوث اختراق داخلي في صفوف الجيش الرّومي المدافع عنها (حاصر معاوية قيسارية حتَّى يئس من فتحها، وكان عمرو بن العاص وابنه حاصراها، ففتحها معاوية قسراً، فوجد بها من المرتزقة سبعمائة ألف، ومن السامرة ثلاثين ألفاً، ومن اليهود مائتي ألف، ووجد بها ثلاث مئة سوق قائمة كلها، وكان يحرسها في كل ليلة على سورها مئة ألف. وكان سبب فتحها أن يهودياً يقال له يوسف أتى المسلمين ليلاً فدلهم على طريق في سرب فيه الماء إلى حقو الرّجل على أن أمنوه وأهله، وأنفذ معاوية ذلك. ودخلها المسلمون في الليل وكبروا فيها، فأراد الرّوم أن يهربوا من السّرب فوجدوا المسلمين عليه. وفتح المسلمون الباب فدخل معاوية ومن معه. وكان بها خلق من العرب)[1].

وبادر معاوية إلى اتباع سياسة ضغط على الرّومان من خلال وجود عدد كبير من أسرى قيسارية عنده (وجعل معاوية قبل الفتح وبعده يحبس الأسرى عنده، ويقول: ما صنع ميخائيل (أحد قادة الرّوم) بأسرانا صنعنا بأسراهم مثله، ففطمه عن العبث بأسرى المسلمين حتَّى افتتحها)[2].

ونقل البلاذري عن الواقدي في إسناده (أن سبى قيسارية بلغوا أربعة آلاف رأس (أظن الصّواب أربعمائة ألف رأس إن صحت رواية المليون الذين وجدهم معاوية في قيسارية وهو أمر بعيد) . فلما بعث به معاوية إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بهم

(1) : فتوح البلدان192 – 193.
(2) : تاريخ الطبري101/3.

فأنزلوا الجُرف. ثُمَّ قسمهم على يتامى الأنصار وجعل بعضهم في الكتاب والأعمال للمسلمين. وكان أبو بكر الصّديق رضي الله عنه أخدم بنات أبي أمامه أسعد بن زرارة خادمين من سبى عين التّمر فماتا، فأعطاهن عمر مكانهما من سبى قيسارية.

قالوا: ووجه معاوية بالفتح مع رجلين من جذام، ثُمَّ خاف ضعفهما عن المسير فوجه رجلاً من خثعم، فكان الخثعمي يجهد نفسه في السّير والسّرى فسبقهما ودخل على عمر فكبر عمر.ونادى: ألا إن قيسارية فتحت قسراً. وكبر وكبر المسلمون)[1]

وقد كان لهذا الانتصار أهمية كبيرة إذ به اختتمت حروب فلسطين تقريباً كما أنه فتح الطّريق أمام المسلمين لغزو مصر عام 20 هـ وفتحها[2]. ولو أن هذه المدينة فتحت في وقت مبكر من بداية فتوح فلسطين لكان فتح مصر أبكر مما كان، ويدل على ذلك أن عمرو بن العاص كان قرار توجهه إلى مصر بينما كان محاصراً قيسارية وجاءه على حاله تلك كتاب الخليفة عمر بشأن ذلك[3].

لقد كانت هذه المدينة (من أمنع مدن فلسطين هي آخر ما افتتح من مدن البلد) كما يقول اليعقوبي [4].

فتح عسقلان

عسقلان مدينة ساحلية على البحر المتوسط يسميها الصّهاينة الآن (أشكلون) على بعد 20 كلم شمال شرق غزة، وكانت على مدار

(1) : فتوح البلدان 193.
(2) : فتوح الشّام 299 المنتظم 291/4.
(3) : الأوائل للعسكري 9/2 فتوح البلدان 191.
(4) : البلدان لليعقوبي167.

التّاريخ معبراً لابد من المرور فيه للنازل إلى مصر عن طريق الشّاطئ.

وقد تأخر فتح عسقلان إلى ما بعد فتح قيسارية وقد كتب الخليفة عمر إلى معاوية أن يتتبع ما بقي من فلسطين فيفتحها ففتح معاوية عسقلان صلحاً بعد كيد[1] ، ولم تصلنا مرويات عن هذا الفتح أو الكيد أو الصّلح الذي أعقبه.
ويذكر الطّبري أن فتحها كان في عام 23 هـ على صلح [2] أي في السّنة التي قُتل فيها الخليفة عمر.

ويبدو أن محاولات فتح عسقلان عديدة إذ يروي البلاذري أن عمرو بن العاص كان فتحها ثُمَّ نقض أهلُها وأمدّهم الرّوم فتحها معاوية وأسكنها الرّوابط ووكل بها الحفظة[3].

ومع أن البلاذري روى خبر فتح عمرو لها بصيغة التّضعيف(يقال) إلا أنني أظن أن ذلك حقيقي، وكان هذا الفتح في وقت مبكر وقبل وقعة أجنادين أو بعدها لاسيما أن الخليفة عمر كان أرسل بعوثاً إلى قيسارية وإلى غزة وإيلياء لمشاغلة الرّوم عن عمرو في أجنادين، وبما أن للروم حامية قوية في عسقلان فلابد أن تكون محل استهداف من قِبل المسلمين لقربها الجغرافي الشّديد من أجنادين.

(1) : فتوح البلدان 194 وانظر فتوح الشّام 299.
(2) : تاريخ الطّبري304/3 الكامل 77/3.
(3) : فتوح البلدان 194.

لكن الواقدي يشير أن عمرو بن العاص صالح أهل قيسارية بعد فتحها عام 19 هـ على مائة ألف درهم وما خلّفه حاكمها (اسمه فلسطين) من بقية ذخائره، ووصل خبر افتتاح قيسارية إلى الرّملة وعكا وعسقلان ونابلس وطبرية فعقدوا كلهم صلحاً مع المسلمين[1] لكن اكتمال الفتح لم يكن إلا في آخر عهد الخليفة عمر.

ويبدو أن ثمة معارك جديدة جرت في هذه البقعة وحصل فيها أسرى – ونحن نورد ذلك لندرة المرويات التي تحكي لنا عن تاريخ المدينة فنشير إلى ما وقفنا عليه - إذ يروي الطّبراني بإسناده أن الرّوم أسروا ابناً للصحابي أبي قِرْصافة جَنْدَرة الكناني في عسقلان فكان أبو قرصافة يصعد سور عسقلان عند كل ميقات صلاة ويذكّر ابنه بالصّلاة فكان يسمعه[2].

فتح غزة

غزة مدينة ساحلية تقع جنوب غرب فلسطين، وهي تقع على طريق استراتيجية بين مصر والشّام تقع على جادة مصر وطرف بادية النّقب وسيناء، وكانت القوافل والجيوش تمر بها لذلك كانت محل استهداف كبير من جانب الغزاة والفاتحين والإمبراطوريات القديمة.توفي فيها هاشم بن عبد مناف جد النّبي صلى الله عليه وسلم وقبره لا يزال معروفاً إلى اليوم في حي الدّرَج، وكانت تجارة قريش تمر بها.

(1) : فتوح الشّام 293 .
(2) : المعجم الكبير 19/3 مجمع الزوائد396/9.

كانت أولى الاتصالات بين النّبي صلى الله عليه وسلم وأهل غزة عندما قدم عليه (أسقف غزة) حاملاً معه تركة جدّ النّبي هاشم وتركة عبد شمس اللذين هلكا بغزة حيث كانا تاجرين وماتا تاركين تركتهما هناك فأمر النّبي صلى الله عليه وسلم العباس بقسمة تركة هاشم على كبراء بني هاشم، وتركة عبد شمس على كبراء بنيه، وقيل مات عبد شمس بالحجون من أرض مكة[1].

وليست لدينا رواية توضح لنا سبب ورود هذا الأسقف إلى النّبي إلا أنه يمكن الاستنتاج أنها كانت بادرة حسن نية تجاه النّبي صلى الله عليه وسلم الذي بدأت بعوثه تضرب تخوم الشّام، وإدراك أهل هذه المناطق قوة المسلمين.

وقد شاركت قيادة منطقة (غزة) العسكرية الرّومانية بقوة في حروب الرّومان الأولى مع المسلمين فقد شارك حاكم غزة صليب بن حنا (وقيل لاوي بن حنا) في معركة اليرموك وكان أحد البطاريق الخمسة الكبار في قيادة الجيش الرّوماني وكان أحد من قُتل فيها[2].

وكانت بعوث المسلمين أوَّل عهد أبي بكر قد وصلت إلى أرض غزة بقيادة أسامة بن زيد الذي أمره أن يغير على (يبنا) في قضاء الرّملة الآن، وفي رواية أخرى أمره النّبي صلى الله عليه وسلم (أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والدّاروم من أرض فلسطين)[3]. ويحكي ابن حبيب أن النّبي صلى الله عليه وسلم أرسل أسامة بن زيد إلى

(1) : تاريخ أبي زرعة 53/1.
(2) : فتوح الشام 14.
(3) : سيرة ابن هشام 642/2،606 تاريخ الطبري 429/2.

الدّاروم من أرض فلسطين في سنة تسع [1]، بمعنى أن هناك بعثين إلى هذه المنطقة أرسلهما النّبي صلى الله عليه وسلم الأولى في سنة تسع والثانية في سنة وفاته صلى الله عليه وسلم، مما يدل على الاهتمام المبكر بفتح الشّام وأرض فلسطين من قِبَل القيادة النّبوية.

وذكر ابن الكلبي أن النّبي أرسل علقمة بن مجزز المدلجي إلى الدّاروم على خيل له وقد أوضحنا سابقاً أن ذلك كان في غزوة تبوك وقبل بعث أسامة الأخير قبل وفاة النّبي إلى يبنا والدّاروم[2]. مما يعني أن هناك ثلاثة بعوث إلى المنطقة قبل فتحها.

والدّاروم اسم قديم للبقعة المعروفة اليوم باسم (دير البلح) بين مدينة غزة وخان يونس وتعتبر أحد مداخل غزة الجنوبية على بعد 16 كلم منها، ولا يزال مدخل غزة من الجنوب المواجه لدير البلح يعرف باسم (باب الدّارون)[3] وقد أقام الصّهاينة هناك مستوطنة باسم (كُفار داروم) تمت إزالتها عند خروج الاحتلال من قطاع غزة في 2005/9/12 .

كما خاض المسلمون معركة كبيرة في أرض فلسطين كانت في منطقة (داثن) قرية من قرى غزة عام 12 هـ وكانت بقيادة عمرو بن العاص ضد بطريق غزة وذلك قبل وصول خالد بن الوليد إلى الشّام أي قبل معركة اليرموك، وقد اقتتل المسلمون معه اقتتالاً شديداً وانتصروا عليهم ثُمَّ توجه يزيد بن أبي سفيان في طلب ذلك

(1) : المحبر 125.
(2) : جمهرة النسب 159.
(3) : انظر: إتحاف الأعزة في تاريخ غزة362/2.

البطريق. فبلغه أن بـ(العربة) من أرض فلسطين جمعاً للروم، فوجه اليهم أبا أمامة الصّدي بن عجلان الباهلي [1] وفي هذا الجمع ستة من قواد الرّوم في ثلاثة آلاف مقاتل فقتل أبو أمامة أحد قادتهم ثُمَّ تبعهم حتَّى منطقة(الدّبية) جنوب شرقي رفح في قطاع غزة الآن فهزمهم وغنم منهم [2] وكانت هذه أوَّل وقائع المسلمين ولم يقاتلوا قبل ذلك مذ فصلوا من الحجاز [3] ثُمَّ أتى أبو أمامة منطقة في وسط قطاع غزة تعرف باسم داثن فهزمهم أبو أمامة وقتل قائدا كبيرا منهم أيضاً . [4]

وتقع داثن الآن في وسط قطاع غزة بالقرب من قرية المصدّر، وتحديدا في المنطقة المعروفة تاريخياً باسم (الدّميثة) أو (أم التّوت) وهي تسمّى اليوم (المغازي)، ولا تزال تضم رفات بعض الصّحابة والجند الذين استشهدوا في هذه المعركة. يقول مؤرخ غزة عثمان الطّباع المتوفى عام 1950م :(داثن الأقرب أنها دميثة المحرفة إلى ميتة في جنوبي غزة قرب دير الدّاروم وهي الآن خربة تعرف بخربة الدّميتة)[5].

ويجزم البلاذري أن عمرو بن العاص فتح غزة في خلافة أبي بكر الصّديق [6].

---

(1) : تاريخ الطّبري601/2 الكامل 405/2.
(2) : فتوح البلدان 151 .
(3) : فتوح البلدان 151.
(4) : تاريخ الطّبري602/2 فتوح البلدان 151 الكامل 405/2 معجم البلدان (داثن)417/2.
(5) : إتحاف الأعزة 367/2 ويقول الدباغ إن موقع الدميثة أقيمت عليه مدرسة النصيرات عام 1944 على مسافة 5 كلم شرقي دير البلح بلادنا فلسطين 1-ب/409.
(6) : فتوح البلدان 188 الكامل 499/2.

وقد سبق لنا الحديث أن الخليفة عمر أرسل علقمة بن مجزِّز إلى غزة لملاقاة الرّوم ومشاغلتهم عن نصرة الجيش الرّوماني في أجنادين ولم تتحدث لنا المصادر عن مصير هذه البعثة العسكرية وماذا فعلت في غزة!.

ويُنسَب لعمرو بن العاص فتح غزة بينما كان متوجهاً لفتح مصر، ويبدو أن عمرو بن العاص صالح حاكمها الرّوماني بعد مكيدة استخبارية تمكّن فيها عمرو من كشف منطقة العدو والاطلاع على الثّغرات فيها.

وتختلف المصادر في نسبة هذه المكيدة الاستخبارية فبعضهم ينسبها لعمرو بن العاص وبعضهم ينسبها لعلقمة بن مجزز :

(لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتَّى نزل غزة، فبعث إليه عِلْجُها: أن ابعثْ إلي رجلاً من أصحابك أكلّمه. ففكر عمرو وقال: ما لهذا أحد غيري. قال: فخرج حتَّى دخل على العلج فكلمه، فسمع كلاماً لم يسمع قط مثله. فقال العلج: حدثني: هل في أصحابك أحد مثلك؟ قال: لا تسأل عن هذا، إني هين عليهم إذ بعثوا بي إليك وعرضوني لما عرضوني له، ولا يدرون ما تصنع بي؟ قال: فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى البواب: إذ مرّ بك فاضرب عنقه وخذ ما معه. فخرج من عنده فمر من رجل من نصارى غسان فعرفه فقال: يا عمرو، قد أحسنت الدّخول فأحسن الخروج. ففطن عمرو لما أراده، فرجع. فقال له الملك: ما ردّك إلينا؟ قال:

نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك يسع بني عمي، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد. فقال: صدقت، أعجِل بهم. وبعث إلى البواب أن خل سبيله. فخرج عمرو وهو يلتفت، حتَّى إذا أمِن، قال: لا عدتُ لمثلها أبداً. فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج، قال له: أنت هو! قال: نعم، على ما كان من غدرك !(1).

أما ابن الأثير فيجعل القصة حاصلةً مع الاثنين (كان علقمة بن مجزز قد حصر الفيقار بغزة وجعل يراسله، فلم يشفه أحد بما يريد، فأتاه كأنه رسول علقمة، فأمر الفيقار رجلاً أن يقعد له في الطّريق فإذا مر به قتله، ففطن علقمة فقال: إن معي نفراً يشركونني في الرّأي فأنطلق فآتيك بهم، فبعث الفيقار إلى ذلك الرّجل أن لا يعرض له، فخرج علقمة من عنده فلم يعد وفعل كما فعل عمرو بالأرطبون)(2). كما رُويت هذه القصة مع عمرو بن العاص مع الأرطبون في أجنادين(3) .

وأرجّح أن اتجاه عمرو بن العاص إلى غزة بعد قيسارية كان قبل اكتمال فتح قيسارية على يد معاوية التي قيل إن فتحها كان في آخر خلافة عمر، وأن فتح قيسارية الموجود في الرّواية أعلاه مقصود به إحدى الجولات التي انتصر فيها عمرو على الرّوم في

(1) : العقد الفريد عن ابن الكلبي 145/1 الأوائل للعسكري 9/2 .
(2) : الكامل 497/2.
(3) : الكامل 498/2.

قيسارية والتي انتهت بالصّلح كما أفادتنا إحدى روايات الواقدي [1] وقد يكون ذلك بعد معركة(نخل) التي أشرنا إليها سابقاً عند الحديث عن فتح قيسارية.

وفي رواية للعسكري يذكر أن الخليفة عمر أمر عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر وهو محاصر قيسارية فنزل غزة وحكى القصة مع حاكمها والمكيدة التي صارت[2].

وهذا يعني أن غزة تمّ فتحها قبل اكتمال فتح قيسارية الكامل آخر خلافة الفاروق كما رجّحنا، وقيل إن الخليفة أمر عمرو بن العاص بفتح مصر بعد فتح بيت المقدس[3]، والرّواية الأشهر أن عمرو بن العاص تلقى أمر سيره إلى مصر من الخليفة عمر في الجابية[4].

وقد كان لهذا الانتصار في قيسارية أثر كبير في إقبال المدن الكبرى مثل غزة على عقد صلح مع عمرو فأتى كبراؤهم وأصلحوا أمرهم معه على مال لا يحصى[5] مما مهّد للإسراع في فتح مصر بعد تأمين مدخلها الشّمالي.

---

(1) : فتوح الشّام 299.
(2) : الأوائل للعسكري 9/2.
(3) : النجوم الزاهرة 28/1.
(4) : فتوح مصر وأخبارها 56، النجوم الزاهرة 9/1، المصنف للصنعاني 455/5.
(5) : فتوح الشّام 299.

بعد الانتهاء من غزة توجّه عمرو بن العاص إلى (رَفَح) على الحدود المصرية الفلسطينية الآن وهي قريبة من ساحل البحر فصالح أهلها وأعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم .[1]

وقد وصل لعمرو بن العاص كتاب من الخليفة عمر عام 18هـ وهو بـ(رفح) يأمره فيها بوقف تقدُّمه إلى مصر إن كان لم يدخل أرضها فتعجّل عمرو وأخّر استلام الكتاب حتَّى وصل قرية بين رفح والعريش من أرض مصر لخشيته من أن يكون عمرُ يأمره بتغيير مساره – وهو ما كان حقاً- فأكمل تقدُّمه، وكان عمرو لم يزل بالخليفة عمر يقنعه في الجابية بفتح مصر وأنّ فتحها سيكون قوة للمسلمين وعوناً حتَّى ركن الخليفة إلى كلامه وزالت بعض تخوّفاته[2].

فتح النّقب

النّقب صحراء واسعة في جنوب فلسطين تتصل بصحراء سيناء، ويظهر لي أن حركة الجيوش الإسلامية فيها دون اعتراض من الرّومان أو العرب فيها تؤكد أنها كانت محيّدة تماماً منذ وقت مبكّر ولاسيما بعد العقود التي كتبها النّبي صلى الله عليه وسلم مع أبرز مدائنها الجنوبية على البحر ولاسيما (أيلة) المعروفة اليوم باسم (العقبة) وقد تمتد إلى (إيلات) التي عقد صاحبها يوحنا بن

(1) : فتوح البلدان 188.
(2) : تاريخ اليعقوبي 148/2 معجم البلدان (الفسطاط)262/4، فتوح مصر وأخبارها 56، النجوم الزاهرة 10-9/1 .

رؤية صلحاً عسكرياً كفل حرية حركة الملاحة والمؤن وكان إقراراً بالسّلطة السّياسية للمسلمين على المنطقة.

وتشير المصادر أن النّبي صلى الله عليه وسلم كتب لبني جعال بن ربيع الجذاميين أن لهم (إرم) لا يحلها أحد عليهم لغلبهم ولا يحاقهم فمن حاقهم فلا حق له، وحَقهم حقّ[1].

ويقول ياقوت الحموي إن (إرم) المرادة في هذا الحديث هي اسم علم لجبل من جبال (حِسْمى)من ديار جذام بين (أيلة) (العقبة) وتيه بني إسرائيل (سيناء) وهو جبل عظيم العلو يزعم أهل البادية أن فيه كروماً وصنوبراً[2].

ولم تشر المصادر إلى تاريخ هذا الإقطاع لهؤلاء البطن من جذام لكنه واضح في أن هذه المنطقة كانت ضمن النّفوذ السّياسي للنبي صلى الله عليه وسلم وهي واقعة في منطقة النّقب الحالية، ولكنني لم أستطع تحديد موضعها بالدّقة.

ووصول سرايا النّبي صلى الله عليه وسلم إلى شمال وادي القرى مثل (حسمى) من أراضي جذام يؤشر بوضوح إلى دخول بعوث النّبي العسكرية إلى هذه المنطقة مبكراً كسريّة زيد بن حارثة إلى (حسمى) في هذه المنطقة كما أشرنا سابقاً.

---

(1) : الأماكن أو ما اتفق لفظه واختلف معناه للحازمي وزاد:كتبه خالد بن سعيد، معجم البلدان (إرم)155/1 النهاية في غريب الحديث (إرم) لسان العرب (إرم).
(2) : معجم البلدان (إرم) 154/1 يقول الدباغ: إن (إرم) قد تكون هي الواقعة في منطقة (إرم) الموقع النبطي بين معان والعقبة. بلادنا فلسطين 1-ب/511.

وقد تكون هذه البعوث هي السّبب الذي دفع أهالي(إرم) إلى مصالحة النّبي صلى الله عليه وسلم.

كما أن حركة جيوش المسلمين ولاسيما أبو أمامة الباهلي وعمرو بن العاص وقبلهما أسامة بن زيد من (العربة) إلى (غزة) و(داثن) و(الدّاروم) و (يبنا) تؤكدان نجاح الدّبلوماسية النّبوية المترافقة مع القوة العسكرية في فرض سيطرة المسلمين على المنطقة مبكراً ، ويظهر لي أن الوجود الرّوماني كان في غاية الضّعف في تلك المنطقة الصّحراوية بسبب اكتفائهم بالمحطات المركزية في أطراف هذه الصّحراء والتي كانت أيضاً أقل تحصيناً وحمايةً من أخواتها في أنحاء فلسطين الأخرى.

ويشير البلاذري أن المسلمين لم يمروا بأرضٍ من الحجاز حتَّى (العربة) بموضع إلا غلَبوا عليه بغير حربٍ وصار في أيديهم [1] وفي هذا إشارة إلى أن المناطق الشّرقية من النّقب على الأقل خضعت لسلطة المسلمين دون قتال.

ويؤشر إلى خضوع المنطقة لسيطرة المسلمين أن عمرو بن العاص اتخذ من منطقة (العربات) وهي (العربة) من غور فلسطين جنوب البحر الميت معسكراً لجيشه قبل أن يصل خالد بن الوليد بجيشه إلى أجنادين[2].

(1) : فتوح البلدان 152.
(2) : انظر: تاريخ الطبري 609/2 الثقات لابن حبان188/2 غزوات ابن حبيش 200/1 وورد الموضع فيه مصحفاً(القريات).

ويبدو لي أيضاً أن هذه المنطقة كانت خطرة جداً قبل دخول القوات الإسلامية إليها نظراً لضعفها وخلوّها من القوى العسكرية، وأرجّح أن غارات القبائل العربية في شمال الجزيرة العربية وفي جنوبي بلاد الشّام على القوافل العابرة بهذه الصّحراء كانت تمتد إلى هذه المنطقة ويؤشر إلى ذلك اعتداء الجذاميين على دحية الكلبي عند عودته من عند هرقل ثُمَّ استنقاذ قوم من بني الضُّبيب الجذاميين له، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً؛ ولذلك كان إخضاع هذه المنطقة الحدودية مرتبط بخضوع تلك القبائل للسلطة الإسلامية الجديدة مما يعني أنها كانت ضمن المناطق الأسرع انضماماً إلى النّفوذ الإسلامي، وأفترض هاهنا أنه تكوّنت تجمعات حضريّة جديدة في تلك المناطق الواقعة في طريق القوافل والجيوش لاسيما في الواحات الصّحراوية لاسيما أنه ورد أن عمرو بن العاص اعتكف في منطقة بئر السّبع لما اختصم مع الخليفة عثمان بن عفان أثناء حصره الأول فاعتزله وأقام في أرض له يقال لها العجلان [1] ولا يزال القصر المشهور بـ(عجلان) معروفاً إلى اليوم في بئر السّبع وهو منسوب لعمرو بن العاص، ويقول الحموي إن منطقة (السّبع) هذه كان يملكها عمرو بن العاص [2]، ولم يكن بين وفاة الخليفة عمر وحصار الخليفة عثمان الأول سوى سنوات قليلة مما يوحي بوجود حياة حضرية أقامها المسلمون في تلك الصّحراء .

---

(1) : تاريخ الطبري3/392.

(2) : معجم البلدان (السبع) 3/185 يرجح مصطفى الدباغ أن يكون قصر عجلان لعمرو بن العاص في بئر السبع في مكان يعرف بـ"خربة عجلان" إلى الشّرق من قرية "برير" بنحو8 كلم بلادنا فلسطين1 - ب/418.

وقد تكون هذه الأرض هي الضّيعة التي اتخذها عمرو بن العاص عقب فتح الرّملة التي أشرنا إليها سابقاً، وإذا صحّ هذا فإن ذلك يعني أن هذه المنطقة كانت تعتبر ضمن أراضي (الرّملة) التي لا تبعد عنها كثيراً .

الملاحق

الملحق الأول: كتب الصّلح للمدن الفلسطينية

الملحق الثاني: بطولات فتح فلسطين

الملحق الأول

كتب الصّلح للمدن الفلسطينية

صالح الخليفة عمر أهل إيلياء بالجابية، وكتب لهم فيها الصّلح لكل كورة كتاباً واحداً، ما خلا أهل إيلياء[1].

نص كتاب الخليفة عمر إلى أهل إيلياء:

بسم الله الرّحمن الرّحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شئ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الرّوم واللصوت ؛ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله مع الرّوم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم مأمنهم ؛ ومن أقام منهم فهو آمن ؛ وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الرّوم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنوا على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتَّى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الرّوم ؛ ومن

---

(1) : **تاريخ الطبري 105/3.**

شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شئ حتَّى يحصد حصادهم ؛ وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرّحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان. وكتب وحضر سنة خمس عشرة[1].

أما اليعقوبي المتوفى عام 284 هـ فقد أورد نصاً مختصراً لهذه العهدة التي عُرفت لدى المؤلفين المتأخرين باسم (العهدة العمرية):

(بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذا ما كتبه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس: إنكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم، لا تسكن ولا تخرّب، إلا أن تحدثوا حدثاً عاماً, وأشهد شهودا). [2]

وينقل اليعقوبي الخلاف: هل صالح الخليفة عمر النّصارى أم اليهود في إيلياء ؟ثُمَّ نقل اليعقوبي الإجماع أنه صالح النّصارى[3].

وفي النّص الذي ساقه اليعقوبي لصلح أهل إيلياء يتضح أنه مختصر وليس فيه ذكر لإخراج اليهود.

وفي هذه العهدة العمرية كلام يطول يخرج بنا عن منهج هذا الكتاب في أسانيدها وفحواها لذلك أضربنا عن ذكره ونكتفي هاهنا بما يدخل في المسار التّاريخي لكتابنا.

---

(1) : تاريخ الطبري105/3 غزوات ابن حبيش 318/1.
(2) : تاريخ اليعقوبي147/2.
(3) : تاريخ اليعقوبي147/2.

وقد نشرت كنيسة القدس الأرثوذكسيه و بطريركية الرّوم الأرثوذكس عام 1953م، نصاً مغايراً تقول إنه نص العهدة العمرية:

(بسم الله الرّحمن الرّحيم، الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وأكرمنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم، وهدانا من الضّلالة، وجمعنا بعد الشّتات وألف قلوبنا، ونصرنا عَلى الأعداء، ومكن لنا من البلاد، وجعلنا إخواناً متحابين، واحمدوا الله عباد الله على هذه النّعمة.

هذا كتاب عمر بن الخطاب لعهد وميثاق أعطي إلى البطرك المبجل المكرم وهو صفرونيوس بطرك الملة الملكية في طورزيتا بمقام القدس الشّريف في الاشتمال على الرّعايا والقسوس والرهبان والرّاهبات حيث كانوا وأين وجدوا، وأن يكون عليهم الأمان، وأن الذّمي إذا حفظ أحكام الذمة وجب له الأمان والصّون منا نحن المؤمنين وإلى من يتولى بعدنا وليقطع عنهم أسباب جوانحهم كحسب ما قد جرى منهم من الطّاعة والخضوع، وليكن الأمان عليهم وعلى كنائسهم وديارهم وكافة زياراتهم التي بيدهم داخلا وخارجاً وهي القمامة وبيت لحم مولد عيسى عليه السّلام كنيسة الكبراء، والمغارة ذي الثلاثة أبواب، قبلي وشمالي وغربي، وبقية أجناس النّصارى الموجودين هناك، وهم الكرج والحبش، والذين يأتون للزيارة من الإفرنج و القبط والسّريان والأرمن والنّساطرة واليعاقبة والموارنة تابعين للبطرك المذكور, يكون متقدما عليهم لأنهم أعطوا من حضره النّبي الكريم والحبيب المرسل

من الله وشرفوا بختم يده الكريم، وأمر بالنّظر إليهم و الأمان عليهم، كذلك نحن المؤمنون نحسن إليهم إكراماً لمن أحسن إليهم، ويكونوا معافاً (معافين) من الجزية والغفر (الخفر) والمواجب، ومسلمين من كافّة البلايا في البر والبحور وفي دخولهم للقمامة وبقية زياراتهم لا يؤخذ منهم شيء, وأما الذين يقبلون إلى الزيارة إلى القمامة، يؤدي النّصراني إلى البطرك درهم (درهما) وثلث من الفضة، وكل مؤمن ومؤمنة يحفظ ما أمرنا به سلطاناً كان أم حاكماً والياً يجرى حكمه في الأرض, غني أم فقير من المسلمين المؤمنين والمؤمنات. وقد أعطى لهم مرسومنا هذا بحضور جم الصّحابة الكرام، عبد الله، وعثمان بن عفان وسعد بن زيد، وعبد الرّحمن بن عوف، وبقية الأخوة الصّحابة الكرام. فليعتمد على ما شرحنا في كتابنا هذا ويعمل به، وأبقاه في يدهم، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله و أصحابه، والحمد لله رب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل.

في العشرين من شهر ربيع الأول سنة خامس وعشر للهجرة النّبوية. وكل من قرى (قرأ) مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه من الآن والى يوم الدّين فليكن لعهد الله ناكثا ولرسوله الحبيب باغضاً![1].

ويعقب د شفيق جاسر محمود على هذه النّشرة الأرثوذكسية:

(1) : انظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .http://www.iu.edu.sa/Magazine/62/13.htm

(من المرجح أن مكانة القدس لدى النّصارى من أهم أسباب تعدد الرّوايات للعهدة العمرية، واختلاف نصوص هذه الرّوايات، وقد كان هذا الاختلاف قليلا، كما نراه بين روايات اليعقوبي وابن البطريق وابن الجوزي، أو جزئيا أحيانا أخرى كما هو الحال بين هذه النّصوص ونص الطّبري ومجير الدّين. أوكلياً، في الصّيغة والأسلوب والمحتوى، كما هو يبين الرّوايات المذكورة ورواية ابن عساكر, ورواية الوثيقة التي نشرتها بطريركية الرّوم الأرثوذكس سنة 1953م.

ومكانة القدس لدى النّصارى تعود إلى أنها تضم أقدس مقدساتهم، ومحجهم الذي يحجون إليه، ومقر بطريركية الروم الأرثوذكس. فكان هذا التّحريف تلبية لرغبتهم في الحصول على أكبر قسط من الامتيازات والتّسهيلات لهم، وللحجاج من الطّوائف الأخرى، وخاصة حجاج الإفرنج، مستغلين في ذلك علمهم بأن المسلمين لا يحتفظون بنسخة من هذا العهد، وبعض فترات ضعف السّلطة الإسلامية.

إنّ المطلع على أسلوب الكتابة عامة، وكتابة العهود والمواثيق والمراسلات الرّسمية خاصة في عصر صدر الإسلام، يدرك أنها كانت تعمد إلى الاختصار، وتبتعد عن المقدمات، وألفاظ التّفخيم، والمحسنات، وتعالج الموضوع المقصود مباشرة، بأوضح الألفاظ وأقل الكلمات. كما أن من غير المحتمل ولا المقبول عقلاً أن ترد في هذه الرّوايات شروط وعهود تنظم أحوالاً وأوضاعاً لم تكن قد وجدت بعد.

لذلك يتوقع المطلع والمؤرخ أن يكون هذا العهد مصوغاً بأسلوب ذلك العصر، وأن يتضمن نصاً يعطي لأهل الذّمة أماناً على أنفسهم وأموالهم وذراريهم وعبادتهم، مقابل دفع الجزية والدّخول في طاعة المسلمين) ... وهذا النّص الأخير الذي نشرته بطريركية الرّوم الأرثوذكس بالقدس عام 1953 ميلادية، فإن جميع الدلائل، من أسلوب، وألفاظ، وأحكام، ومعلومات تاريخية، تشير إلى أنه غير صحيح[1].

أما الكتب الأخرى التي كتبها الخليفة عمر لسائر المدن الفلسطينية فكانت على الكتاب الذي كتبه لأهل مدينة (لد): (بسم الله الرّحمن الرّحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم ؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا مللها، ولا من صلبهم ولا من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ؛ ولا يضار أحد منهم ؛ وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل مدائن الشّأم، وعليهم إن خرجوا مثل ذلك الشّرط إلى آخره)[2].

---

(1) : انظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة http://www.iu.edu.sa/Magazine/62/13.htm.

(2) : تاريخ الطّبري 105/3 غزوات ابن حبيش 319/1.

الملحق الثاني

بطولات فتح فلسطين

بطولات فتح فلسطين

هشام بن العاص : استشهادي عَبَر المسلمون على جسده الممزّق.

هشام بن العاص بن وائل السّهمي صحابي جليل وأحد المسلمين الأوائل وكان من مهاجِرة الحبشة وكان شقيق عمرو بن العاص قائد معركة أجنادين التي استشهد فيها هشام.

قال الواقدي بسنده إلى أم بكر بنت المسور بن مخرمة قالت: كان هشام بن العاص بن وائل رجلاً صالحاً، لمّا كان يوم أجنادين رأى من المسلمين بعض النّكوص عن عدوّهم فألقى المِغْفَر عن وجهه وجعل يتقدم في نحر العدو وهو يصيح يا معشر المسلمين إليّ إليّ ! أنا هشام بن العاص! أمِنَ الجنةِ تفرّون حتَّى قتل[1].

وروى الواقدي من طريق خالد بن معدان: لما انهزمت الرّوم بأجنادين انتهوا إلى موضع لا يعبره إلا إنسان واحد، فجعلت الرّوم تقاتل عليه، فقاتل هشام حتَّى قُتل، ووقع على تلك التّلمة حنى سدّها، فلما انتهى المسلمون إليها هابوا أن يدوسوه، فقال عمرو أخوه: أيها النّاس إن الله قد استشهده ورفع روحه، إنما هي جثة ثُمَّ أوطأه

(1) : الطبقات الكبرى لابن سعد الإصابة 424/6 المستدرك 240/3 رقم الحديث 5052.

وتبعه النّاس حتَّى تقطع ثُمَّ جمعه عمرو بعد ذلك وحمله في قِطع فواراه. [1]

وفي رواية أن هشام بن العاص قال يوم أجنادين: يا معشر المسلمين ! إن هؤلاء القلفان لا صبر لهم على السّيف فاصنعوا كما أصنع! قال فجعل يدخل وسطهم فيقتل النّفر منهم، حتَّى قتل[2].

شهادة عروسين في صباح عرسهما

يذكر السّهيلي أن بطولة أم حكيم وزوجها العروس كانت في معركة أجنادين بينما روى آخرون أنها في معركة مرج الصّفر جنوب سوريا الآن عام 14 هـ.

أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومية، أسلمت يوم فتح مكة وكانت تحت عكرمة بن أبي جهل، فاتبعته حين فر من الإسلام، فاستأمنت له رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، واستشهد عكرمة باليرموك، فخطبها يزيد بن أبي سفيان. وخالد بن سعيد بن العاص. فخطبت إلى خالد، فتزوجها، فلما أراد البناء بها، وجموع الرّوم قد احتشدت، قالت له: لو أمهلتَ حتَّى يفضّ الله جمعَهم، قال: إن نفسي تحدثني أني أصابُ في جموعهم، فقالت: دونك، فابتنى بها.

فلما أصبح التقت الجموع وأخذت السّيوف من كل فريق مأخذها فقتل خالد، وقاتلت يومئذ أم حكيم، وإن عليها للردع الخلوق، وقتلت

(1) : تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الرّاشدين) 104-105 الإصابة 424/6 المستدرك رقم الحديث 5051.
(2) : الطبقات الكبرى 147/4 والقلفان جمع أقلف وهو غير المختتن.

سبعة من الرّوم بعمود الفسطاط بقنطرة تسمى إلى اليوم بقنطرة أم حكيم وذلك في غزوة أجنادين[1].

وروى محمد بن عمر الواقدي: قال حدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: شهد خالد بن سعيد فتح (أجنادين) و(فحل) و(مرج الصّفر) وكانت أم الحكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبي جهل فقتل عنها بأجنادين فأعدّت أربعة أشهر وعشرا، وكان يزيد بن أبي سفيان يخطبها وكان خالد بن سعيد يرسل إليها في عدّتها يتعرض للخطبة فخطبت الى خالد بن سعيد فتزوجها على أربعمائة دينار فلما نزل المسلمون مرج الصّفر أراد خالد أن يعرّس بأمّ حكيم فجعلت تقول لو أخرت الدخول حتَّى يفض الله هذه الجموع ! فقال خالد: إن نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم. قالت: فدونك. فأعرس بها عند القنطرة التي بالصّفر فبها سميت قنطرة أم حكيم وأولم عليها في صبح مدخله، فدعا أصحابه على طعام فما فرغوا من الطّعام حتَّى صفت الرّوم صفوفها صفوفا خلف صفوف وبرز رجل منهم معلم يدعو الى البراز فبرز إليه أبو جندل بن سهيل بن عمرو العامري فنهاه أبو عبيدة فبرز حبيب بن مسلمة فقتله حبيب ورجع الى موضعه وبرز خالد بن سعيد فقاتل فقتل وشدت أم حكيم بنت الحارث عليها ثيابها وعدت وإن عليها لردع الخلوق في وجهها فاقتتلوا أشد القتال على النّهر وصبر الفريقان جميعا وأخذت السّيوف بعضها بعضا فلا يرمى بسهم ولا يطعن برمح ولا يرمى

(1) : الرّوض الأنف 115/4.

بحجر ولا يسمع الا وقع السّيوف على الحديد وهام الرّجال وأبدانهم وقتلت أم حكيم يومئذ سبعة بعمود الفسطاط الذي بات فيه خالد بن سعيد معرسا بها[1].

ويروي محمد بن إسحاق أن أم حكيم ونساء من قريش قاتلن الرّوم يوم اليرموك قتالاً شديداً حتَّى سابقن (وفي رواية : سايفن) الرّجال [2].

عبد الله بن حذافة: محرّر الأسرى

عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدي أبو حذافة السّهمي أحد السّابقين. هاجر إلى الحبشة وأنفذه النّبي صلى الله عليه وسلم رسولاً إلى كسرى. خرج إلى الشّام مجاهداً فأسر على قيسارية وحملوه إلى طاغيتهم فراوده عن دينه فلم يفتتن.

وجّه عمر بن الخطاب جيشاً إلى الرّوم فأسروا عبد الله بن حذافة فذهبوا به إلى ملكهم فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد فقال: هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ملك العرب ما رجعت عن دين محمد طرفة عين. قال: إذاً أقتلك قال: أنت وذاك. فأمر به فصُلب وقال للرماة: ارموه قريباً من بدنه. وهو يَعرض عليه ويأبى، فأنزله ودعا بقِدرٍ فصبّ فيها ماء حتَّى احترقت ودعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فألقي فيها وهو يعرض عليه النّصرانية وهو يأبى. ثُمَّ بكى. فقيل للملك:

(1) : الطبقات الكبرى فتوح البلدان 162 الإصابة 379/8 .
(2) : تاريخ الطبري74/3.

إنه بكى. فظن أنه قد جزع فقال: رُدّوه. ما أبكاك؟ قال: قلت هي نفس واحدة تلقى السّاعة فتذهب فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفُس تلقى في النّار في الله. فقال له الطّاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلّي عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم فقبّل رأسه.

وقدم بالأسارى على عمر فأخبره خبره. فقال عمر: حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة وأنا أبدأ. فقبل رأسه.

وفي رواية أخرى: حدثنا أبو عمرو ومالك بن أنس أن أهل قيسارية أسروا ابن حذافة فأمر به ملكهم فجرّب بأشياء صبر عليها، ثُمَّ جعلوا له في بيتٍ معه الخمر ولحم الخنزير ثلاثاً لا يأكل فاطلعوا عليه فقالوا للملك: قد انثنى عنقه فإن أخرجتَه وإلا مات. فأخرجه وقال: ما منعك أن تأكل وتشرب؟ قال: أمَا إن الضّرورة كانت قد أحلتها لي ولكن كرهت أن أشمتك بالإسلام. قال: فقبِّل رأسي وأخلي لك مئة أسير. قال: أما هذا فنعم. فقبل رأسه فخلى له مئة وخلى سبيله.

وقد روى ابن عائذ قصة ابن حذافة فقال: حدثنا الوليد بن محمد أن ابن حذافة أسر. فذكر القصة مطولة وفيها: أطلق له ثلاث مئة أسير وأجازه بثلاثين ألف دينار وثلاثين وصيفة وثلاثين وصيفاً.

ويعلّق الذّهبي على هذه المرويات : ولعل هذا الملك قد أسلم سراً. ويدل على ذلك مبالغته في إكرام ابن حذافة.وكذا القول

في هرقل إذ عرض على قومه الدّخول في الدّين فلما خافهم قال: إنما كنت اختبر شدتكم في دينكم[1].

(ثقتي بالله أعظمُ من حديدك)

لما كان يوم الحرب قرب قيسارية صفَّ (فلسطين) قائد (الرّوم) جيشه ثلاثة صفوف وقدم المشاة وعدل الميمنة والميسرة ورفع الصّليب أمامه وتقدم أمام الجيش فنظر عمرو إلى فلسطين وقد رتب عساكره وعزم على الحرب، فهيأ المسلمين، وصفهم صفاً واحداً وجعل في الميمنة الحماة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم شرحبيل بن حسنة كاتب الوحي وصابوب بن جباية الليثي عن شماله وكان أحد فرسان المسلمين، فبينما النّاس كذلك إذ خرج فارس من الرّوم وعليه ديباج ودرع وجوشن، وفي عنقه صليب من الذّهب فحمل حتَّى خطى برمحه من الميمنة إلى الميسرة ومن الميسرة إلى الميمنة، ثُمَّ إلى القلب ثُمَّ وقف بإزاء جيش المسلمين وركز رمحه بازائه وأخذ القوس بيده وفوق سهمها ورمى رجلاً من الميمنة فأثبت السّهم فيه فجرحه ورمى آخر من الميسرة فقتله فنظر إليه عمرو وما قد صنع فصاح بالمسلمين: ألا ترون هذا العلج اللعين وما يصنع بقوسه. فمن يكفينا أمره ويزيل عن المسلمين شره، فخرج إليه رجل من ثقيف وعليه بردة دنسة وبيده قوس عربية قد فوّق سهمها، وخرج إلى العِلج يريده فنظر

---

(1) : انظر هذه المرويات في سير أعلام النبلاء2/14-15 التّبيين في أنساب القرشيين 469 الإصابة 52/4.

إليه العلج وليس عليه شيء من الحديد يستره إلا فروة دنسة، وما معه من السّلاح غير القوس فازدرى به وبلبسه وأطلق سهماً من كبد قوسه فوقع سهمه في صدره فاشتبك في الفروة ووقع غير مصيب، وكان اللعين أرمى أهل زمانه. ما رمى قط شيئاً إلا نفذ فيه، فغضب لذلك وهم أن يرميه بسهم ثانٍ فامتعط الثّقفي نبلة ورمى بها نحوه فلم يرها لصغرها وخفاء موقعها فاشتبكت النّبلة في حلق العلج فخرجت من قفاه، فما تمالك العلج إلا أن وقع صريعاً فأسرع الثّقفي إلى جواده فأخذه واستوى على متنه ونزع بيضة المشرك عن رأسه، وجعل يسحبه نحو جيش المسلمين فاستقبله ابن عم له وكلمه فلم يجبه من فرحه بما صنع. ثُمَّ أقبل إلى عمرو فأعطاه إياه فنظرت الرّوم إلى فعل الثّقفي فغاظهم ذلك، وجعلوا يشيرون إلى السّماء فعلمنا أنهم يقولون إن الملائكة تنصرنا، قال: ونظر (فلسطين) إلى ذلك فعظم عليه وقال لبعض البطارقة: اخرج إلى هؤلاء العرب وحامٍ عن دينك فخرج البطريق وعليه ديباجة خضراء ودرع حصين ومن تحت الدّرع جوشن منيع وفي عنقه صليب من الذّهب الأحمر ومعه غلام من ورائه يجنب جنيبة وعليه سيفه ودرقته فخرج حتَّى وقف بين الصّفين فجعل يسأل القتال، فلما نظر المسلمون إليه أقبلوا إليه ينظرون ولا يخرج إليه أحد.

فقال عمرو: معاشر العرب من يخرج إليه ويهب نفسه لله عز وجل فخرج إليه رجل من العرب وهو يقول: أنا أكون ذلك، فقال عمرو: بارك الله فيما تريد وحمل صاحب المسلمين عندما خرج

مصمماً واستقبله البطريق وجعلا يتجاولان ساعة وهما يتعانقان بالسّيوف إلى أن خرجت لهما ضربتان فسبقه البطريق بالضّربة فأخذها الرّجل بالدّرقة فقدها نصفين وكانت جلد بعير بطانة واحدة فلم يصل إليه من الضّربة شيء وجعل الرّجل ضربة في أثرها فقطعت البيضة وسلكها فتقهقر البطريق إلى ورائه ولم يصل إليه أذى، فلما رجعت إليه روحه حمل على المسلم وضربه فجرحه جرحاً فاحشا فألوى إلى أصحاب فصاح به رجل من العرب: من وهب نفسه لا يرجع من بين يدي عدوه. فقال الرّجل: أكل كفاك هذه الضّربة حتَّى توبخني إن الله ليلومني بأن ألقي بيدي إلى التّهلكة ثُمَّ شد جراحه وعظم عليه ما قال ابن عمه، فلما خرج قال له ابن عمه الذي خاطبه: ارجع فخذ هذه البيضة واجعلها على رأسك. فقال: ثقتي بالله أعظم من حديدك، ثُمَّ دلف نحو البطريق وهو يقول:

يقول لي عند الخروج لـلّـقـا ... دونك هذا التّرسَ فاجعله وقا
من عِلج سوءٍ قد بغى وقد طغى ... أقسمت بالله يميناً صادقا
لأتركنَّ البيض فوق المرتقى ... وأدخلَ الجنة دارَ الملتقى

قال: فدعا له المسلمون بالنّصر وقالوا: اللهم أعطه ما تمنى وحمل على البطريق وضربه ضربة هائلة فوقعت على عاتقه وخرجت من

علائقه ثُمَّ حمل في جيش الرّوم فقتل رجلاً وجندل أبطالاً ولم يزل كذلك حتَّى قتل رحمه الله تعالى. فقال عمرو: هذا رجل اشترى الجنة من الله بنفسه: اللهم أعطه ما تمنى[1].

الغلام اليمنيّ

قال الواقدي: وكان هرقل حين بعث ولده (فلسطين) إلى قيسارية بعث معه بطريقاً مقدماً على كل البطارقة وكان اسمه (قيدمون) وكان من أفرس الرّوم ويقال إنه خال (فلسطين)، وقد كان لقي عسكر الفرس وعسكر التّرك وعسكر الجرامقة. قال: وكان اللعين يحفظ سائر اللغات. فقال فلسطين: لا بد لي من قتال العرب. قال وخرج ،وعليه لامة، وخرج مبارزاً، فلما رآه المسلمون قد خرج وكأنه جبل قد انهد من أعلاه إلى أسفله وهو يلمع من بريق الجوهر ضج المسلمون بقول: لا إله إلا الله، فلما وقف في الميدان أقبل يرطن بلغته ويطلب البرَاز فأقبل العرب يهرعون إليه من كل جانب ومكان يريدون قتاله لأجل ما عليه، فقال عمرو: ثواب الله خير لكم مما عليه فلا يخرج أحد لطلب سَلَبه فيكون خروجه لأجل ذلك وإن قتل مات في سبيل ما خرج إليه، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأةٍ يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) قال: فخرج غلامٌ من اليمن ومعه أمه

(1) : فتوح الشّام 289.

وأخته يريدون الشّام، وأخته تقول له: يا ابن أمي جِدَّ بنا في السّير لنصل إلى الشّام فنأكل من خيره ونعمه.

فقال لها أخوها: إنما أذهب لأقاتل لمرضاة الله عز وجل. وقد سمعت معاذ بن جبل يقول: إن الشّهداء عند ربهم يرزقون. فقالت له أخته: كيف يرزقون وهم أموات !؟. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله تعالى يجعل أرواحهم في حواصل طيور الجنة فتأكل تلك الطّيور من ثمار الجنة، وتشرب من أنهارها، فتغدو أرواحهم في حواصل تلك الطّيور، فهو الرّزق الذي جعله الله لهم) فلما كان قتال قيسارية خرج ذلك الغلام إلى القتال بعد أن ودّع أمه وأخته وداع الموت وقال لهم: نجتمع على حوض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ خرج وبيده قناة وهي موصولة كثيرة العُقد وتحته جوادٌ هجين. فلما خرج الغلام حمل على البطريق من ساعته وطعنه بسنانه. قال: فاشتبك السّنان في درع البطريق فلم يقدر على انتزاعه فضرب البطريق قنا الغلام بسيفه فقطعها وحمل على الغلام وضربه على هامته فشطرها فوقع الغلام ميتاً -رحمه الله- وجال (قيدمون) على مصرعه، ثُمَّ طلب البراز، فخرج إليه (ابن قثم) فقتله البطريق.

قتالٌ في الطّين ... وتوبة متنبّئ

فلما نظر شرحبيل بن حسنة -رضي الله عنه- إلى ما فعله الغلام اليمني أقبل يعاتب نفسه ويقول: تتفرجين على قتل

المسلمين، ثُمَّ خرج والرّاية بيده التي عقدها لـه أبـو بكـر رضـي الله عنه يوم خروجه إلى الشّام، فلما رآه عمرو قد عول على الخروج قال: يا عبد الله أركز الرّايـة لـئلا تشـغلك. فركزهـا شرحبيل فوقفت كالنّخلـة وغاصت فـي حجر كأنهـا منـه فتفـاءل بالنّصر وخـرج إلـى لقاء (قيدمون) والمسلمون يدعون له بالنّصر على عدوه فلمـا رآه البطريق ضحك من زيّه -وكان للملعون صوت عال وهو ضخم من الرّجـال- وكـان شـرحبيل نحيـف الجسـم مـن كثـرة الصّـيام والقيـام بالليل،والبطريق فـي ميدانـه، فحمـل كـل واحد منهمـا علـى صـاحبه واختلفا بضربتين، وكان السّابق شرحبيل فلم يعمل السّيف في لامة البطريـق شـيئاً وثبـت السّـيف فـي بيضـته وحمـل (قيـدمون) علـى (شرحبيل) فشجه ثُمَّ تجاولا على الجوادين.

قال سعيد بن روح: وكان ذلك اليوم كثير البرد والسّحاب فبينما هما في المعركة إذ نزل المطر كأفواه القرب قال: فنزلا عن الجوادين وجالا يتصارعان في وسط الطّين وذلك أن قيدمون حمل على شرحبيل فضرب يده في مراق بطنه فاقتلعه من الأرض ورمى به على ظهره ثُمَّ استوى على صدره وهم أن ينحره فنادى شرحبيل: يا غياث المستغيثين! فما استتمّ كلامَه حتَّى خرج إليه فارسٌ من الرّوم وعليه لامة مذهَّبة ومن تحته جواد من عِتاق الخيل فقصد موضع البطريق وشرحبيل فظن قيدمون أنه إنما خرج ليعطيه جواده ويعينه، فلما قرب منهما ترجّل وأمال البطريق برجليه عن صدر شرحبيل وقال: يا عبد الله قد أتاك الغوث من غياث المستغيثين

فوثب شرحبيل قائماً ينظر إليه متعجباً من قوله وفعله، وكان الفارس متلثماً ثُمَّ جرد سيفه وضرب البطريق ضربة قطع رأسه، وقال: يا عبد الله خذ سَلَبه. فقال شرحبيل: والله ما رأيت أعجب من أمرك وإني رأيتك جئت من عسكر الرّوم فقال: أنا الشّقيّ المبعَد أنا طلحة بن خُوَيلد الذي ادعى النّبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب على الله وزعم أن الوحي كان ينزل عليه من السّماء، فقلت له: يا أخي ↓ ❍◑□ ❻◆❑↙⁕◆❁ ✂🖋★
✂🖈🖈✂ ☺⇦○❍✓✖♦ ❷✪❸🖬 ✎🖈🖈✂ ☺←♦↖○❍✓✖♦ ↑ (الأعراف: 56)، وقد وسعت رحمته كل شيء ومن تاب وأقلع وأناب قبل الله توبته وغفر له ما كان منه والنّبي صلى الله عليه وسلم يقول: (التّوبة تمحو ما قبلها) أما علمت يا ابن خويلد أن الله سبحانه وتعالى لما أنزل على نبيه ↓ ❑◆❻◆❑ ☹☺⇳○◆❻◆❑
↑ 🕮↗⇔✪☒★ ❑✍↗✐ ⇳💣⛋➔ (الأعراف: 156)، طمع فيها كل شيء حتَّى إبليس فلما نزل قوله تعالى: ↓ ✂❑✐↓🖳🡐☝✍✐❑🕯❁○♦▫ ♦✖⇦✍🕭⅄✂✍☺ ✂❑❑→◑✱☝♦③ ✂♍❑➔🖋↙♦↖③◆❑ ♦❍❑→◑✱☝♦③
✂❑❑•🖹❑❽☺✂ ↑ ■❑🗐❑•🖹❑❽☺✂ (الأعراف: 156)، قالت اليهود: نحن نؤتي الزكاة ونتصدق، فلما نزل قوله تعالى: ↓ ♦✖⇦✍🕭⅄🖋✂◆❑ ☠➔♎
↑ ♦❍❑↖☪✍✎↙♦↖③ ✂◆☪✍☝🕒♦③✂♦★✍✐ (الأعراف: 156)، قالت اليهود: نحن مؤمنون بما أنزل الله في الصّحف والتّوراة فأراد الله أن يعلمهم أنها خاصة بأمه محمد صلى

الله عليه وسلم بقوله:

(الأعراف: 157)، فقال طلحة بن خويلد: ما لي وجه أرجع إلى الإسلام وهم أن يسير على وجهه فمنعه شرحبيل وقال له: يا طلحة لست أدعك تمضي، بل ترجع معي إلى العسكر قال: ما يمنعني من المسير معك إلا خالد بن الوليد (وكان خالدٌ قاتله في حروب الرّدة)، وإني أخاف أن يقتلني، فقلت: يا أخي إنه ليس معنا وهذا الجيش لعمرو بن العاص قال: فرجع معي فلما قربنا من المسلمين تبادروا إلينا وقالوا: يا شرحبيل من هذا الرّجل معك. فلقد صنع معك جميلاً، - قال: ولم يعرفوه-، لأنه كان متلثماً بفضل عمامته. فقلت: هذا طلحة بن خويلد الذي ادعى النّبوة فقالوا: أوَتاب ورجع إلى الله !. فقال: أنا تائب إلى الله سبحانه وتعالى. قال شرحبيل: فأتيت به إلى عمرو بن العاص فسلم عليه وبش في وجهه ورحب به.

قال: حدثنا حسان بن عمر الرّبعي عن جده أن طلحة بن خويلد لما ادعى النّبوة وجرى له ما جرى من الحرب مع خالد بن الوليد رضى الله عنه وسمع أن خالداً قتل مسيلمة الكذاب وقتل الأسود العنسي أيضاً لأنه قال إنه نبي فخاف طلحة على نفسه من خالد فهرب بالليل ومعه زوجته للشام واستجار برجل من آل كلب فأجاره الكلبي وأنزله في داره، وكان الكلبي مؤمناً وبقي عنده مدة أيام إلى أن استخبره عن حاله فحدثه طلحة بجميع أحواله مع خالد

بن الوليد ووقائعه معه وكيف ادعى النّبوة فغضب الكلبي لكلامه وطرده من جواره فأقام طلحة بالشّام، وقد تاب من أمره، فلما بلغه أن أبا بكر الصّديق رضي الله عنه قد قُبض قال: ذهب من جردت السّيف في وجهه فمن ولي بعده. قالوا: عمر بن الخطاب فهاب أن يمضي إليه وفزع من خالد بن الوليد أن يراه بالشّام فيقتله، فقصد قيسارية ليركب في المراكب ويطرح نفسه في بعض جزائر البحر، فلما نظر إلى جيش (فلسطين) قد خرج إلى قتال العرب قال: أسير مع هذا الجيش فلعلي أنكبّ نكبة وأغسل بها شيئاً من أوزاري وتكون لي قربة إلى الله تعالى وإلى المسلمين، فلما نظر شرحبيل في عين الهلكة قال: لا صبر لي عنه فخرج واستنقذه كما ذكرناه، فلما وقف بين يدي عمرو بن العاص شكره وبشره بقبول التّوبة. فقال: يا عمرو إني أخاف من خالد بن الوليد أن يراني بالشّام، فيقتلني. فقال عمرو: فإني أشير إليك بشيء تصنعه وتأمن به على نفسك في الدّنيا والآخرة. قال: وما هو؟ قال: أكتب معك كتاباً بما صنعت وشهادة المسلمين فيه وتنطلق به إلى عمر بن الخطاب وتدفعه إليه وأظهر التّوبة فإنه يقبلها وسيندبك إلى الفتوح وقتال الرّوم فتمحو عنك ما سلف من خطاياك. فأجابه طلحة إلى ذلك فكتب له عمرو كتاباً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بما صنع وأخذه طلحة ومشى به إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد عمر في المدينة، وقيل له هو بمكة. فمضى حتَّى وردها فوجد عمر متعلقاً بأستار الكعبة، فتعلق معه وقال: يا أمير المؤمنين ! إني تائب إلى الله عز وجل وحق رب هذا البيت مما كان مني ! قال عمر: من أنت؟ قال:

أنا طلحة بن خويلد. قال: فنفر عمر عنه وقال: يا ويلك إنْ أنا عفوتُ عنك فكيف الأمر غداً بين يدي الله عز وجل بدم ابن محصن الأسدي. قال طلحة: يا أمير المؤمنين عكاشة رجل أسعده الله على يدي وشقيت أنا بسببه وأرجو أن يغفر الله لي بما عملته قال عمر: وما عملت؟ فأخرج له كتاب عمرو بن العاص، فلما قرأه عمر وفهم ما فيه فرح به وقال: أبشِرْ فإن الله غفور رحيم !. وأمره عمر أن يقيم بمكة حتَّى يرجع إلى المدينة فأقام معه أياماً، فلما رجع عمر إلى المدينة وجّه به إلى قتال أهل فارس[1].

أبناء عم رسول الله نماذج شجاعة وشهادة

أوَّل من قُتِل يوم أجنادين بطريقٌ برز يدعو إلى البرَاز (المبارزة) فبرز إليه عبدالله بن الزبير بن عبد المطلب فاختلفا ضربات ثُمَّ قتله عبد الله ثُمَّ برز آخر فضربه عبد الله على عاتقه، وقال: خذها وأنا ابن عبد المطلب فأثبته وقطع سيفُه الدّرعَ، وأشرع في منكبه ثُمَّ ولى الرّومي منهزماً؛ وعزم عليه عمرو بن العاص أن لا يبارز، فقال: لا أصبر؛ فلما اختلطت السّيوف وُجد في ربضةٍ من الرّوم عشرة مقتولاً وهم حوله، وقائمُ السّيف في يده قد غري، وإن في وجهه لثلاثين ضربة.

قال الواقدي فحدثت بهذا الزبير بن سعيد النّوفلي فقال سمعت شيوخنا يقولون لما انهزمت الرّوم يومئذ انطلق الفضل بن العباس

(1) : فتوح الشّام 292 .

بـن عبـد المطلـب فـي مئـة نـحـواً مـن ميـل فيجـد عبـد الله مقتـولا فـي عشرة من الرّوم قد قتلهم فقبروه[1].

(1) : **تـاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الرّشدين) 96 التَّبيين في أنساب القرشيين 140.**

جريدة

المصادر والمراجع

1. الآحاد والمثاني، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضّحاك الشّيباني الشّهير بابن أبي عاصم، تح:د باسم الجوابرة، ط1 دار الدّراية – السّعودية الرّياض 1991.
2. إتحاف الأعزة في تاريخ غزة، عثمان مصطفى الطّباع،تح: عبد اللطيف زكي أبو هاشم،ط1 مكتبة اليازجي – غزة 1991.
3. الإصابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،تح: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط2 دار الكتب العلمية – بيروت 2002.
4. الأماكن أو ما اتفق لفظه واختلف معناه من الأمكنة محمد بن موسى الحازمي؛ أعده للنشر حمد الجاسر، ط دار اليمامة السّعودية ، 1415هـ ، 1995م.
5. الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تح:محمد خليل هراس، ط دار إحياء التّراث الإسلامي- قطر د.ت.
6. الأموال، حميد بن زنجويه، تح:د شاكر فياض، ط1 مركز الملك فيصل للبحوث – الرّياض 1986.
7. الأوائل، أبو هلال العسكري، تح: محمد المصري ووليد قصاب، ط وزارة الثّقافة السّورية 1975.
8. البداية والنّهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدّمشقي، خرج أحاديثه محمد بيومي وزميليه، ط مكتبة الإيمان – المنصورة د.ت.
9. بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدّباغ، ط2 دار الهدى – فلسطين 2002.

10. البلدان،أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح الشّهير باليعقوبي، تعليق:أمين ضناوي، ط1 درا الكتب العلمية بيروت 2002.

11. تاريخ أبي زرعة الدّمشقي، عبد الرّحمن بن عمرو النّصري الدّمشقي، تح: شكر الله بن نعمة الله القوجاني، ط مجمع اللغة العربية بدمشق.

12. تاريخ الإسلام وفيات مشاهير الأعلام، شمس الدّين محمد بن أحمد الذّهبي، تح:عمر عبد السّلام تدمري،ط1 دار الكتاب العربي – بيروت 1987.

13. تاريخ ابن خلدون(العبر وديوان المبتدأ والخبر...)،عبد الرّحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي،ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت 1971.

14. تاريخ خليفة بن خياط العصفري،رواية بقي بن مخلد، تح: د سهيل زكار،ط1967 .

15. تاريخ دمشق، أب القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشّهير بابن عساكر،تح علي شيري، ط دار الفكر – بيروت 1995.

16. تاريخ الأمم والملوك،أبو جعفر محمد بن جرير الطّبري،راجعه وصححه نخبة من العلماء، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت

17. تاريخ العرب، فيليب حتي إدوارد جرجي جبرائيل جبور ،ط8 دار غندور1990.

18. تاريخ فتوح الشّام، رواية محمد بن عبد الله الأزدي، تح: عبد المنعم عامر، ط مؤسسة سجل العرب– مصر 1970 .

19. تاريخ اليعقوبي،أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح اليعقوبي،ط دار صادر – بيروت.

20. التّبيين في أنساب القرشيين، موفق الدّين عبد الله ابن قدامة، تح: محمد نايف الدّليمي،ط2 مكتبة النّهضة العربية- عالم الكتب 1988.

21. الثّقات، محمد بن حبان بن أبي حاتم التّميمي، ط1 دار المعارف العثمانية – حيدر آباد الدّكن 1975.

22. ثمرات الأوراق، تقي الدّين أبو بكر بن علي الشّهير بابن حجة الحموي، صححه: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1 مكتب الخانجي – مصر 1971.

23. الجماعات اليهودية في شمال غرب الجزيرة العربية، د أسامة جمعة الأشقر، ط1 2004 د .ط.

24. جمهرة النّسب، هشام بن محمد بن السّائب الكلبي، تح: د ناجي حسن، ط1 عالم الكتب – بيروت 1993 .

25. دلائل النّبوة، أحمد بن الحسين البيهقي، تح: د عبد المعطي قلعجي، ط1 دار الكتب العلمية – بيروت 1985.

26. الرّوض الأنف، أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله الخثعمي السّهيلي، علق عليه: طه عبد الرّؤوف سعد، ط دار الفكر – بيروت د.ت.

27. الرّوض المعطار في خبر الأقطار، محمد عبد المنعم الحميري، تح:إحسان عباس، ط2 مؤسسة ناصر للثقافة 1980.

28. سبل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصّالحي الشّامي، تح: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط1، 1993.

29. سير أعلام النّبلاء، شمس الدّين محمد بن أحمد الذّهبي، تح: شهيب الأرناؤوط وزملائه، ط9 مؤسسة الرّسالة – بيروت 1993 .

30. سيرة ابن هشام،، عبد الملك بن هشام المعافري، تح: مصطفى السّقا وزميليه، ط2 مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر 1955.

31. سنن أبي داود،سليمان بن الأشعث السّجستاني، تعليق عزت عبيد الدّعاس وعادل السّيد، ط1 دار الحديث – بيروت 1971.

32. سنن ابن ماجه،أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تح: محمد فؤاء عبد الباقي،ط دار إحياء الكتب العربية،فيصل البابي الحلبي.

33. السّنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وفي ذيله الجوهر النّقي لعلاء الدّين بن علي بن عثمان المارديني الشّهير بابن التّركماني ط دار الفكر – بيروت.

34. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي، صححه: محمد حسين شمس الدّين، ط1 دار الفر ودار الكتب العلمية – بيروت 1987.

35. صحيح مسلم بشرح الإمام النّووي، مسلم بن الحجاج النّيسابوري، ط المطبعة المصرية – القاهرة.

36. الطّبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1 دار الكتب العلمية – بيروت 1990.

37. العقد الفريد، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي،تح إبراهين الإبياري،تقديم: عمر تدمري، ط دار الكتاب العربي - بيروت .

38. غزوات ابن حبيش، عبد الرّحمن بن محمد ابن حبيش، تح:د سهيل زكار،ط دار الفكر 1992.

39. فتح الباري بشرح صحيح البخاري،أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: محب الدّين الخطيب وعبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي،ط3 المكتبة الإسلامية- مصر 1407 هـ.

40. فتوح البلدان،أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تح: عبد الله وعمر الطّباع، ط مؤسسة المعارف بيروت 1987.

41. فتوح الشّام، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الشّهير بالواقدي، ط1 دار صادر – بيروت 2004.

42. فتوح مصر وأخبارها، أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي، ط ليدن 1920 مصورة مكتبة المثنى – بغداد.

43. فضائل بيت المقدس،ضياء الدّين محمد بن عبد الواحد المقدسي،تح: محمد مطيع الحافظ،ط1 دار الفكر – دمشق 1985 .

44. فلسطين في خمسة قرون : من الفتح الإسلامي حتَّى الغزو الفرنجي)، خليل عثامنة، ط1 مؤسسة الدّراسات الفلسطينية – بيروت .

45. الكامل في التّاريخ،عز الدّين علي بن محمد الشّهير بابن الأثير، ط دار صادر – بيروت.

46. لسان العرب، جمال الدّين ابن منظور الإفريقي، صححه أمين عبد الوهاب ومحمد العبيدي،ط1 دار إحياء التّراث العربي – بيروت 1996.

47. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،نور الدّين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط مصورة دار الكتاب العربي – بيروت، دار الرّيان - مصر 1987.

48. المحبر، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي، برواية السّكري، صححه: إيليزه ليختن، منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت.

49. المستدرك، أبو عبد الله الحاكم النّيسابوري، وبذيله التّلخيص للذهبي، أشرف على طبعه وفهرسته: يوسف المرعشلي، ط دار المعرفة – بيروت.

50. المصنف، أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، تح: حمد الجمعة ومحمد اللحيدان، ط1 مكتبة الرّشد - الرّياض 2004.

51. المصنف، عبد الرّزاق بن همام الصّنعاني، تح: حبيب الرّحمن الأعظمي، ط2 المكتب الإسلامي- بيروت 1983.

52. معجم البلدان،شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرّومي، ط درا إحياء التّراث العربي- بيروت 1979.

53. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تح: حمدي عبد المجيد السّلفي، ط2، 1985.

54. معجم ما استعجم، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري،تح:مصطفى السّقا،ط3 عالم الكتب بيروت 1983.

55. المعرفة والتّاريخ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي، رواية ابن درستويه، تح: د. أكرم ضياء العمري،ط2 مؤسسة الرّسالة – بيروت 1981.

56. معرفة الصّحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله المهراني الأصبهاني، تح: د.محمد راضي بن حاج عثمان،ط1 مكتبة الدّار- مكتبة الحرمين السّعودية 1988.

57. المغازي، محمد بن عمر الواقدي، تح:مارسدن جونز،ط عالم الكتب د.ت.

58. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي ابن الجوزي، تح،محمد ومصطفى عطا، ط دار الكتب العلمية.

59. الموسوعة الفلسطينية (القسم العام)، هيئة الموسوعة الفلسطينية، ط1 1984.

60. النّجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، علق عليه: محمد حسين شمس الدّين، ط1 دار الكتب العلمية – بيروت 1992.

61. النّقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية من القرن السّادس قبل الميلاد وحتى عام 1946، سليم عرفات المبيض، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، مشروع القراءة للجميع 2005.

62. النّهاية في غريب الحديث والأثر،مجد الدّين أبو السّعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري،تح: طاهر الزاوي ومحمود الطّناحي،ط المكتبة الإسلامية د.ت .

63. وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، الحاج الرّوسي دانيال الرّاهب، ترجمة وتحقيق: د سعيد البيشاوي وداود أبو هدبة، ط1 دار الشّروق – الأردن 2003.

المخطوطات :

البناء الجليل بحكم بلد الخليل لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نسخة مصورة عن مخطوطة محفوظة في مكتبة الأزهر.

المواقع الإلكترونية

مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة http://www.iu.edu.sa/Magazine/62/13.htm

المركز الفلسطيني للإعلام www.palestine-info.info

سيرة ذاتية

ـ الدكتور أسامة جمعة الأشقر
ـ ماجستير الأدب العربي – جامعة الخرطوم .
ـ دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية – جامعة الخرطوم .
ـ أستاذ العربية بجامعة الخرطوم .
ـ المدير العام لمؤسسة فلسطين للثقافة .
ـ المستشار بمركز الراصد للدراسات بجمهورية السودان .
ـ كاتب وصحفي رأس تحرير عدد من المواقع الإخبارية الإلكترونية .
ـ له عشرات الكتب والمؤلفات منها:
ـ كتاب الجماعات اليهودية في شمال غرب الجزيرة العربية ـ مطبوع .
ـ منهج اللغة العربية لكليات المجمع الطبي بجامعة الخرطوم ـ مطبوع .
ـ السودان في الأجندة الإسرائيلية ـ مطبوع .
ـ أشعار فتوح فلسطين ـ تحت الطبع .
ـ الشعراء اليهود في الجاهلية وصدر الإسلام ـ تحت الطبع .
ـ ديوان عمات رسول الله ـ صنعة ودراسة ـ تحت الطبع .
ـ قاموس ألعاب الأطفال عند العرب ـ تحت الطبع .